رحلة حجر

من وحي السيرة النبوية

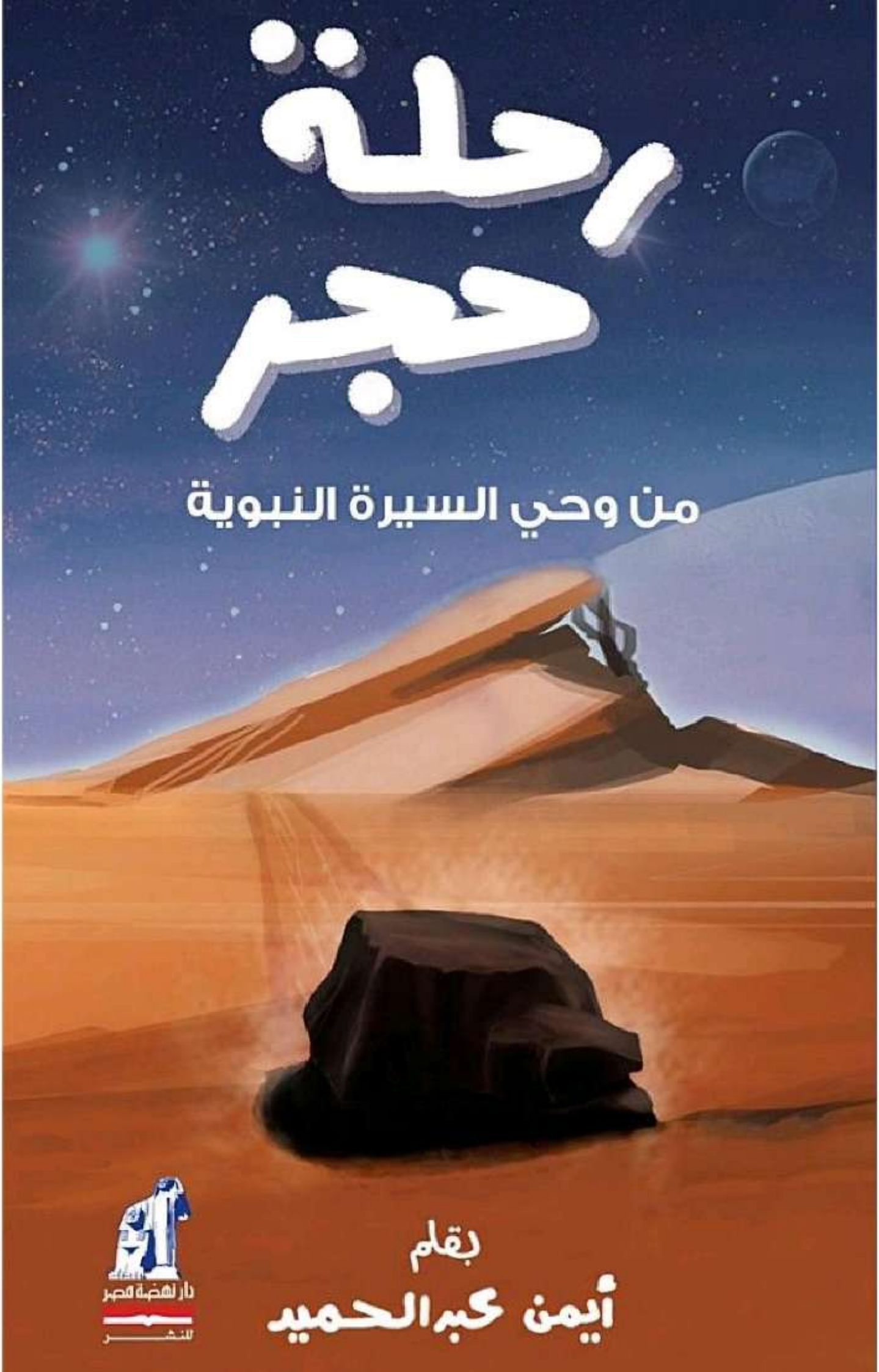

بقلم

أيمن عبد الحميد

دار نهضة مصر للنشر

من نحن؟

أصدقائي الأعزاء:

مَنْ نحن؟

مجموعة من الأشياء .. ولكننا في الأصل من عائلة واحدة عشنا مع رسول الله فترة من الزمان فرأينا جميل صفاته .. وعظيم تضحياته وكان لكل منا حكاية معه.

فجئنا نعرفكم بأنفسنا .. ويحكي لكم كل منا حكايته مع الحبيب ﷺ.

هدية السماء

الأنبياء وأرض مصر
t.me/alanbyawardmsr

في مكان يعشقه كل مسلم على وجه الأرض أعيش .. أختلف بلوني عن باقي الأحجار من حولي .. أنا الذي تتمنى كل يد مسلمة لَمْسي.. وكل شفاه مؤمنة تقبيلي.. لأني حجر من السماء .. حملني جبريل وحْيُ السماء .. إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ ليضعني في ركن هذا البناء المقدس الذي يرتفع الآن إلى قامة الإنسان.. ولا سقف له.. إنه بناء الكعبة المشرفة.. التي أعيش فيها حياة هادئة مطمئنة.. وأجلس في ركنها بكل أمان.. لكن الحياة لا تخلو من المتاعب.. فقد فاجأ كعبتي يومًا مطر غزير جدًا.. تحوَّل إلى سيل أصابها في كل مكان.. حتى ملأها بالماء .. وأوشكت على الانهيار.

وعمَّ الحزن مكة .. واجتمع علماء القبائل من حولي يتناقشون ويبحثون عن حل.. وبعد اختلاف طويل.. ونقاش حاد.. اتفقوا على تجديد كعبتي .. وألا يُدخلوا في تجديدها إلا المال الحلال الطيب.

t.me/alanbyawardmsr

وجاءت لحظة التنفيذ .. وخاف الجميع أن يقتربوا من كعبتي .. أو يمسوا حجرًا منها .. فإن لها مكانة عظيمة .. وقداسة في نفوسهم خاصة أن ذكرى حادث الفيل الذي أهلك الله فيه الملك أبرهة مازالت في أذهانهم.. وصورة جيشه المحطم بطيور من السماء ماثلة أمام أعينهم.

ومرت الأيام .. ولا أحد يجرؤ على هدم كعبتي.. وأنا أنتظر ما سيحدث.. وإذا بالوليد بن المغيرة يتقدم وحده نحو كعبتي في جرأة قائلًا: «اللهم أنت تعلم أنَّا نقدس هذا البيت.. ولا نريد إلا تجديده». ثم ضرب بمعوله جداري.. وسط ذهول ودهشة أهل مكة وهم يراقبونه في حذر وقلق.. فلما وجدوه لم يصب بشرٍّ.. علموا أن الله راضٍ عن قرار التجديد.

وتقدم زعماء القبائل.. يساعد بعضهم بعضًا في هدم بنائي.. حتى وصلوا إلى موضعي.. فاحتملني جماعة منهم .. ووضعوني جانبًا برفق. فوق كوْمة من الرمال.

وما هي إلا أيام.. حتى بدأت كل قبيلة ترفع جانبًا من جدار كعبتي حسب اتفاقهم.. وبدأ البناء يرتفع شيئًا فشيئًا.. حتى وصل إلى موضعي الذي أسكن فيه.. فحدث خلاف كبير بين القبائل؛ الكل يريد أن ينال شرف وضعي في مكاني.. واشتد النزاع.

ووقع ما كنت أحذر.. وخيَّم على مكة الآمنة جو الحرب والدمار؛ فقد قرر زعيم كل قبيلة أن يقاتل حتى الموت.. إذا لم ينل شرف وضعي في مكاني.. وبينما هم على هذا الحال.. إذ قام رجل من أكبرهم سنًّا وأعقلهم.. واقترح عليهم أن يُحكِّموا بينهم أول من يدخل عليهم.. وعم السكون المكان من حولي.. الكل ينتظر أول من يدخل علينا. وإذا بشاب جميل يقبل علينا يخطو في هدوء وسط عباءته.. أتدرون يا أصدقائي من هذا الشاب؟

إنه رسول الله محمد ﷺ .. إن عمره الآن 35 سنة.. لم ينزل عليه وحي السماء بعد.. إنني أعرفه جيدًا .. وكيف لا أعرفه وأنا حجر الأنبياء المقدس.. أنا الحجر الأسود.. فَمَا إن دخل علينا رسول الله ﷺ حتى صاح الجميع هذا هو محمد .. سيد شباب مكة .. الصادق الأمين.. رضينا به حكمًا.. وعرضوا عليه مشكلتهم.. وطلبوا منه حلًّا، فابتسم رسول الله ﷺ .. وخلع عباءته في هدوء.. وفرشها على الأرض وسط ذهول الجميع.. ثم تقدم نحوي.. وحملني بيديه الشريفتين في رفق وحنان.. ووضعني في منتصف ردائه المفروش.. وسط فرحتي الغامرة.. ما أجمل تلك اللحظات التي شعرت فيها بالراحة والأمان بين يديه! ووضِعْتُ في ثوبه المعطر ﷺ.

وقف رسول الله ﷺ أمام الثوب.. بينما هم يحدقون إليَّ باندهاش.. وإذا برسول الله يأمر زعيم كل قبيلة.. أن يحمل طرفًا من الثوب.. وأن يرفعوني جميعًا نحو موضعي الذي أسكن فيه من الكعبة.. فتقدموا نحوي في فرح.. وبدءوا في حملي وكلهم سعادة.. ومشوا حتى وصلوا بي إلى ركن الكعبة.. فرفعوني.. وتقدم رسول الله مني واحتملني مرة أخرى في حنان بيديه الشريفتين.. ووضعني في مكاني.. ثم بنى فوقي.. وسط

t.me/alanbyawardmsr

حرب طاحنة بين القبائل.

* * *

الأنبياء وأرض مصر

t.me/alanbyawardmsr

الأنبياء وأرض مصر

ميلاد النود

t.me/alanbyawardmsr

في هذا الوادي الأمين.. بالأرض المباركة مكة .. تجدني .. حيث يوجد أول بيت بُنِي للناس.. ليعبدوا فيه ربهم.. ورغم أن أرضي مباركة.. فإن الناس هنا لا يراعون حُرمتها؛ فهم يشربون الخمر التي تُلغي عقولهم.. ويبيعونها بثمن غالٍ بعضهم إلى بعض.. وتقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب.. فينهبون الأموال ويعتدون على الآمنين من النساء والأطفال.. وفوق ذلك هم - بكل أسف - يعبدون التماثيل المنتشرة حولي في كل مكان.. إنها تماثيل من الخشب والحجارة.. لا تنفع ولا تضر.. ومع ذلك هم يعتقدون أنها تقدم لهم نفعًا.. أو تسبب لهم ضررًا.. فيسجدون لها.. ويقدمون لها الهدايا والأموال.. والذبائح من الأغنام والجمال.. وغيرها..

هكذا يقدسون الأحجار والأخشاب .. حتى الحلوى يقدسونها.. فربما صنع أحدهم تمثالًا من الحلوى.. فعبده أول النهار.. حتى إذا جاع أكله أمامي.

وليت الأمر يتوقف عند ذلك يا أصدقائي.. فهم يعاملون خدمهم بقسوة.. ويسمونهم عبيدًا.. ويضربونهم.. ويسبُّونهم بأقبح الشتائم.. رغم أن هؤلاء العبيد يخدمونهم بكل إخلاص.. وينفذون كل أوامرهم.. ولكن سادة مكة لا يرضيهم أي شيء.

كم أتمنى يا أصدقائي أن يتغير هذا الوضع المؤلم من حولي.. وأن ينتهي هذا الظلم..

ومرت الأيام .. حتى رأيت ذات ليلة الشُّهب في السماء.. تشق الظلام بضوئها المشتعل.. فتحرق الشياطين في الأفق.. ورأيت النجوم تتراقص في منظر جميل.. وتقترب من إحدى دور مكة.. ففرحت فرحًا شديدًا.. فهذه علامات ميلاد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

نعم يا أصدقائي.. لقد انتشر خبر سعيد في مكة.. خبر ميلاد حفيد لعبد المطلب سيد مكة.

وما هي إلا أيام وشهور.. حتى كدت أطير فرحًا من رؤية ذلك الحفيد المبارك.. وهو يخطو أمامي في طمأنينة وتواضع.. إنه منذ طفولته لم يكن كباقي الأطفال؛ كان بعيدًا عن لهوهم ولعبهم.. وحين كبر لم يكن كأهل مكة؛ لقد كان يساعد الفقراء والمحتاجين.. ويعين الضعفاء.. ويقدم لهم المساعدة.. ويعطف على الأطفال الصغار.. ويحترم الكبار.. ويعامل الجميع معاملة حسنة.. حتى أحبه كل أهل مكة مثلي.. لذلك هم يحكِّمونه بينهم في خلافاتهم.

إنه حديث قومه هنا .. الكل معجب بحلاوة لسانه.. وعظيم أخلاقه.. ولكنني الوحيد الذي أعرف أنه رسول آخر الزمان محمد ﷺ .. إنه حتى الآن لم تنزل عليه رسالة السماء.. ولكنني أعرفه جيدًا.. إنه لم يسجد لصنم مطلقًا.. ولم يؤذ أحدًا قط.

وهو أصدق الناس إذا تكلم.. وأكثرهم حفظًا للأمانة؛ لذلك هم يحفظون عنده ودائعهم ويستأمنونه على أموالهم.. ويلقبونه بـ «الصادق الأمين».

هكذا حال أهل مكة مع رسول الله قبل أن يوحى إليه .. أما أنا فقد كانت لي علاقة خاصة به.. فكلما مر عليَّ رسول الله أنطقني الله بقدرته؛ لألقي السلام على نبيه قائلًا: السلام عليك يا رسول الله.

فكان ﷺ يتلفَّت حوله مندهشًا.. ثم يمضي.. ولم يعرفني.. فأنا مجرد حجر ملقًى على الأرض.. وظللت على ذلك زمنًا.. وأنا أسعد بتحيته ورؤيته.. وأشعر بارتياح كلما مرَّ بي.. حتى نزل عليه وحْيُ السماء بالرسالة.. وشاع خبر رسالته في مكة.. وعرفني رسول الله ﷺ .. حتى مرَّ عليَّ ذات يوم مع أصحابه فقال: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يُسَلِّم عليَّ قبل أن أُبعث.. إني لأعرفه الآن» ونظر نحوي.

t.me/alanbyawardmsr

* * *

اقرأ
الأنبياء وأرض مصر
t.me/alanbyawardmsr

هنا أسكن.. في أعلى جبل حراء.. الذي يبعد عن مكة 5كم.. في الجهة اليسرى من قمة جبلي.. حيث يوجد غاري في حضْن الجبل.. بين ثلاث صخرات ضخام أنا إحداها.. إنه الغار الوحيد في هذا الجبل.. ومَنْ يجلس فيه يرى الكعبة أمامه.. مثلما أراها الآن من مكاني المرتفع.

كان غاري مهملًا.. لا أحد يهتم به.. حتى اختاره رسول الله ﷺ .. ليجلس فيه وحيدًا.. بعيدًا عن الناس.. يتأمل هذا الكون.. فقد كان ﷺ يخرج تاركًا مكة بأصنامها وفسادها.. متجهًا ناحية جبلي.. فيصعد عَبْرَ طريق شاق وصعب.. به كثير من الصخور.. حتى يصل إلى غاري.. فيقيم فيه طوال اليوم.. بعيدًا عن ضوضاء مكة وضجيجها.. كنت أراه ينظر طويلًا إلى الجبال من حولي.. يتأمل السماء وما فيها.. أظنه يبحث عن شيء.. إنه يريد أن يعرف ربه.. فهو غير مقتنع بهذه الأصنام.. ولم يحترمها يومًا.

t.me/alanbyawardmsr

وفي ليلة من ليالي رمضان.. وفي سكون الليل.. وبينما رسول الله يجلس في غاري.. إذا بملَك عظيم.. يظهر في أفق السماء.. مد أجنحته حتى حجبت النجوم.. وانتشر الظلام المخيف في المكان.. وإذا بالملَك ينتفض.. فيتساقط النور حوله.. ما أعجب هذا المنظر!

إنه جبريل وَحْيُ السماء.. قد أتى فجأة إلى رسول الله.. فضمه ضمةً شديدةً حتى خِفت عليه ﷺ .. ثم تركه قائلًا: «اقرأ..» راح الصوت يتردد صداه حولي.. ورسول الله يرد عليه في خوف: «أنا لا أستطيع القراءة».. فضمه جبريل ثانية ضمة أشد وهو يقول له: «اقرأ».. فقال النبي في صوت مخنوق: «ما أنا بقارئ..».. فضمه ضمة ثالثة.. حتى كاد يكتم أنفاسه.. ويحطم ضلوعه.. وهو يقول له: «اقرأ».. ووسط خوف النبي وحيرته راح ﷺ يقول: «وماذا أقرأ؟».

فقا ل الملك: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾ [العلق: 1-5]. رحت أراقب الملَك الذي يصعد منصرفًا نحو السماء.. وبينما أنا مستغرق في تفكيري.. أفكر في عظمة تلك الآيات.. إذا بصوت يتردد في الأفق من حولي.. مخاطبًا الرسول قائلًا: يا محمد.. أنت رسول الله.. وأنا جبريل. فرفع النبي بصره إلى السماء.. بدأ القلق والفزع الشديدان يظهران على وجهه ﷺ.. وهو يمسح جبهته في دهشة وحيرة.. كأنه يعيش حُلمًا.. يسأل فيه نفسه: من هذا الذي خلق الإنسان.. وعَلَّمَه ما لم يعلم؟ ولماذا أنا بالذات تأتيني هذه الكلمات؟

أنا أشعر بالشفقة الشديدة على رسول الله.. الذي يرتعد أمامي الآن.. فهذه أول مرة يرى فيها الوحي مثلي.. وهذه أول مرة أسمع فيها القرآن.. إنها أول آيات تُتلَى على الأرض.. هذه بداية النور الذي سيمحو ظلام الشرك.. ما أعجب تلك المعاني التي أثارت دهشتي وتصدع لها بدني.

يأمر الله نبيه أن يقرأ ما أُنزل إليه.. وأن يبدأ القراءة باسم الله الخالق لهذا الكون.. ما أجمل هذا الرنين الذي يتردد في جوفي! وما أروع هذه النغمة التي تظهر في نهاية كل آية (خلق - علق - قلم)! تلك الكلمات التي أعيش على ذكراها.

t.me/alanbyawardmsr

* * *

عاشق الأصنام

قريبًا من الكعبة المشرفة .. وفي موقع متميز منها.. أمارس هوايتي المفضلة.. حيث أراقب من مكاني كل طائف حولها.. إنها أمامي الآن.. ولكنها بكل أسف.. تنتشر حولها الأصنام في كل مكان.

واليوم استيقظت على صوت غليظ يصيح .. فالتفت لأرى الغضب يعلو ملامح هذا الوجه الحاد.. إنه وجه أبي لهب؛ ذلك الرجل القاسي الذي يهين خدمه دائمًا أمامي.. إنه كعادته يضرب أحد خدمه وينهره قائلًا: سأعلمك كيف تنظر إليَّ أيها العبد الأسود.. أنا سيد مكة.

وبمجرد أن فرغ من ضرب خادمه.. راح يدفع الناس أمامه حتى اخترق جموعهم.. فوصل إلى صنمه الحبيب الذي يعبده.. فسجد أمامه.. ورفع له يديه.. وراح يتأمل وجهه الصامت.. ويمسح الغبار عنه.. وهو يتمتم بكلمات لا أسمعها.. لابد أنه يطلب منه أن يحقق له أمانيه.. لقد كرهت هذه الأصنام وعابديها.

t.me/alanbyaawardmsr

ومرت الأيام .. وشاء الله أن ينقذ الناس هنا من هذا الضلال.. فانتبهت ذات صباح على أنسام باردة جميلة.. وإذا بي أرى رجلًا يصعد أمامي ربوة الصفا المرتفعة.. وينادي على الناس.. فاجتمعوا له من كل مكان.. .حتى إنهم تركوا طوافهم وبيعهم ومجالسهم.. فكلهم يعرف قدره وصدقه.. ويحبونه مثلي.. إنه محمد بن عبدالله.. الذي يلتف الناس حوله الآن.. وهو يعلن أمامهم أنه رسول الله إليهم.. وأن الله أمره أن يدعوهم إلى عبادته سبحانه.. وتَرْك عبادة الأصنام وأن يقولوا لا إله إلا الله.

عند ذلك اضطرب الناس.. وعلت الدهشة وجوههم.. وإذا برجل يصيح من بينهم غاضبًا.. معلنًا عداءه ورفضه لدعوة ابن أخيه.. إنه صوت أبي لهب عم النبي بكل أسف.

ومنذ تلك اللحظة يا أصدقائي.. بدأ العداء الواضح من أبي لهب للرسول ودعوته.. فمع كل صباح، يزور أبو لهب أصنامه.. ويعطرها.. ويعلق العقود الثمينة في أعناقها.. ويسجد أمامها.. ويطلب منها أن تخلصه من محمد ودينه.. فإذا رأى رسول الله مشى خلفه.. وراح يكذبه.. ورسول الله لا يرد عليه.

ولم يكتف أبو لهب بذلك يا أصدقائي.. بل راح يلقي بالأشواك والقاذورات في طريق النبي.. ويحرِّض الناس ضده.. ويشجعهم على إيذائه.. وتجرأ على رسول الله كثيرًا.. حتى إن النبي ﷺ مر ذات يوم بقُرْبي.. وهو يمشي في هدوء نحو الكعبة.. فرآه أبو لهب.. فاحتملني.. وكنت حجرًا صغيرًا لا أستطيع المقاومة.. فقبض أبو لهب بأصابعه الغليظة على جسدي النحيل.. وضغطني بقوة.. ثم رمى بي نحو رسول الله.. فأصبتُ قدمه الشريف ﷺ .. وإذا به ينظر إلى عمه نظرة عتاب حزينة.. ثم مشى يتألم.. وأبو لهب يشتمه بأقبح الشتائم.

كم أنا حزين لما فعله أبو لهب بابن أخيه.. وأتمنى أن ينتقم الله منه!

ومرت الأيام وحقق الله أمنيتي.. فقد أصابه الله بمرض جلدي مُعدٍ.. حوَّل جسده إلى دوائر مخيفة.. غطت كل جلده.. فابتعد الناس عنه.. حتى أبناؤه تركوه وحيدًا.. وصار حديث الناس في مكة.. فاعتزله الناس.. وجلس وحده حبيسًا في داره حتى مات فيها .. وخاف الجميع أن يقتربوا من جسده المريض.. فهدموا عليه داره.

وكانت هذه نهاية الطاغية .. الذي آذى رسول الله ﷺ.

ومرت السنون .. وانتشر الإسلام حولي في كل مكان.. وسمعت القرآن يتردد في جنبات مكة في الصلاة.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3)﴾ [المسد: 1-3].

* * *

t.me/alanbyawardmsr

الحصنُ الأمين

على مقربة من الكعبة المشرفة تراني.. حجرًا ضخمًا مرتفعًا عن الأرض أرى من مكاني أهل مكة.. وهم يعبدون تماثيل من الحجارة.. لا تسمع ولا ترى.. ولا تستطيع الدفاع عن نفسها.. ورغم ذلك هم مقتنعون بها.. ويعلنون الحرب على من يتعرض لها بالإهانة.

ومرت الأيام.. ورأيت رسول الله ﷺ وهو يدعو بدعوته الجديدة إلى الإسلام.. واستمعت إلى حديثه بكل ارتياح.. فقد كان لرسول الله مجلس عند الصَّفا.. يحدِّث فيه الناس عن دينه .. فإذا خلا بنفسه جلس يتأمل الكون كعادته ﷺ .. لكن أهل مكة لم يهدءوا منذ ظهور الإسلام.. فهؤلاء هم أعداء الإسلام.. قد اجتمعوا في فناء الكعبة.. وعلى مقربة مِنِّي.. يتحدثون عن الدين الجديد.. هذا الخطر الرهيب الذي أصبح يهددهم.. ويهدد مصالحهم ومكانتهم..

قال سيدهم: إن دعوة الإسلام خطر على حياتنا.. فهي تدعو إلى ترك عبادة الأصنام

t.me/alanbyawardmsr

التي تربَّينا عليها .. وورثناها عن آبائنا.. وتدعو إلى المساواة بين السادة والعبيد. كيف نتساوى مع خدمنا ونحن أصحاب الثروة والسلطان؟ لابد من مواجهة محمد قبل أن يستفحل خطره.. ويؤثر علينا .. لماذا لا نحرك الشعراء ليسبوه، فالشعر أسرع وسيلة للتشهير به.. أو لماذا لا نقاطع كل من تبعه من أشراف مكة؛ حتي نوقف هذا الخطر.. ولا ينصرف الناس عن آلهتنا .. إني أخاف أن يكثر أتباع محمد.. فيفلت الأمر من يدنا.

رد ثان: ما رأيك يا زعيمنا في إطلاق الشائعات عليه.. نصفه بأنه كاهن أو ساحر.. أو نطالبه بمعجزات لا يستطيع فعلها كأن نطلب منه مثلًا أن يحول لنا رمال مكة ذهبًا.. أو يُنْزل علينا من السماء كتابًا ذهبيًّا نقرؤه.. أو يفجّر لنا كل هذه الصحراء التي حولنا ينابيع ماء.

رد ثالث ضاحكًا في سخرية: أو يخبرنا بأسعار السلع غدًا حتى تنمو تجارتنا.

هكذا كان يدور الحديث دائمًا عن رسول الله.

ومرت الأيام.. وبدأت أرى الحَمْقَى والجهلاء من المشركين يعترضون طريق الرسول.. ويؤذونه أمامي كلما شاهدوه.. فإذا أراد الصلاة قام أبو جهل إليه فألقى القاذورات أمامه.. وراح المشركون يُحدثُون ضوضاء من حوله إذا قرأ القرآن.. أو حدَّث أحدًا عن دينه .. وربما شتموه بأقبح الشتائم.. ورسول الله يعامل الجميع بلطف وعطف.. وأخلاق عالية.. إنه لم يتعرض لأحد منهم بأذى.. بل هو مشفق عليهم مما هم فيه.. وهم يسيئون إليه بكل ما يملكون من قوة .. و رغم ذلك فهو يدعو الله لهدايتهم.. لكنهم تجاوزوا الحد في إيذائه.. ليتني أستطيع أن أضع عن رسول الله أذى هؤلاء الجهلاء .. بعد أن سيطر الشيطان على عقولهم.

وحقق الله أمنيتي في الدفاع عن رسوله ﷺ .. فقد أراد النبيُّ أن يتخذني ساترًا بينه وبين المشركين؛ حتى لا يشغلوه عن صلاته.. وكنت حجرًا كبيرًا أستر من يجلس خلفي.. أو يقف في ظلي.. وكان ﷺ يصلي بجواري .. ويناجي ربه.. ويستند بظهره إلى جانبي .. يتفكَّر في خلق السماء. فكثيرًا ما رأيته يقلب بصره فيها.. ثم يطأطئ رأسه في هدوء.. ويستغرق في البكاء.. طالبًا من ربه أن ينصر دينه.. ويقي أصحابه المعذبين من قسوة قريش.. فقد راحت قريش تعذبهم ليل نهار؛ حتى يتركوا الدين الجديد.. والصحابة مُصرُّون على إسلامهم.. ويحتملون أذى قريش حتى جن جنون قريش. ترى ماذا فعلت قريش معه بعد ذلك؟ هذا ما سيخبركم به أصدقائي من الأحجار.

* * *

حمالة الحطب

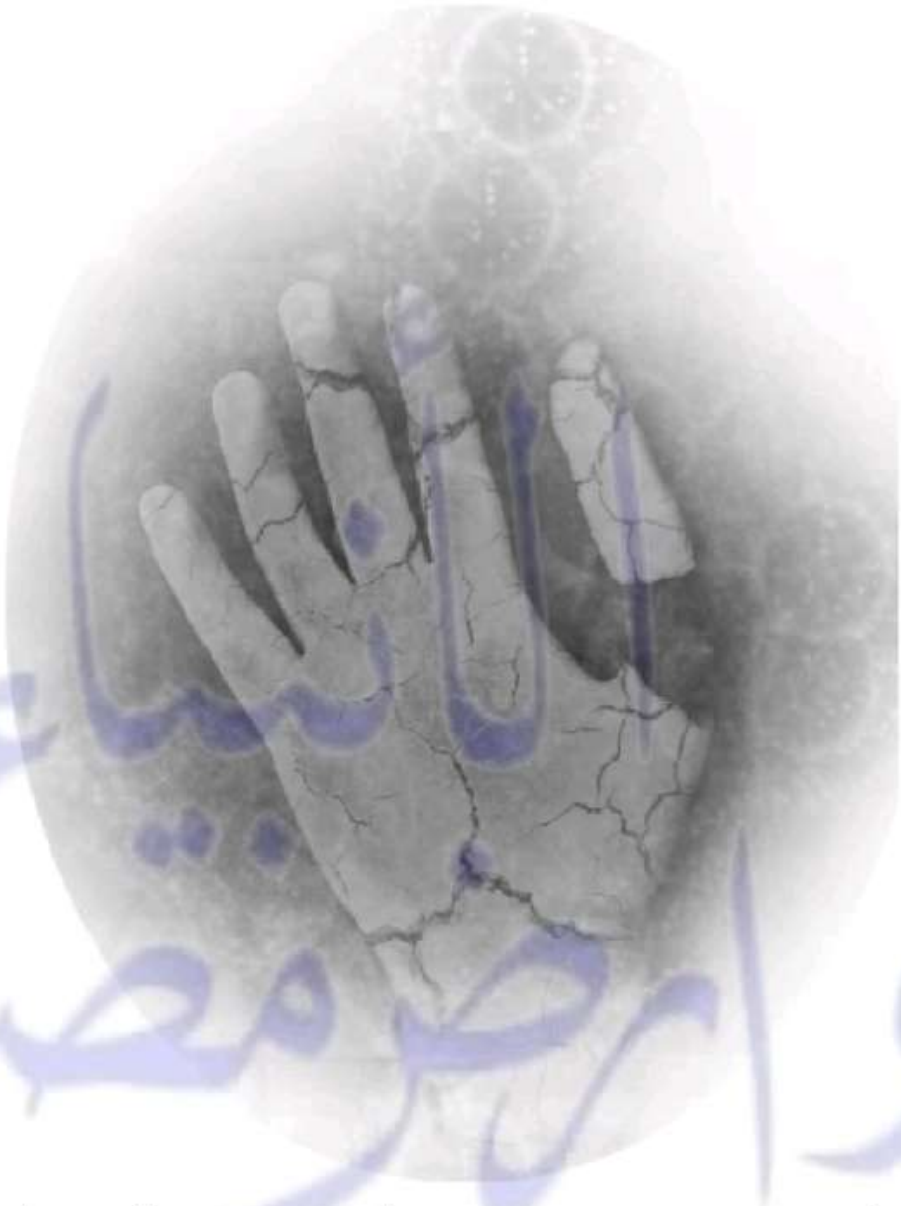

أنا حجر في حجم قبضة اليد.. في أحد شوارع مكة أعيش.. أشاهد كل يوم إيذاء المشركين للرسول وأصحابه.. وأكثر ما أثار غيظي.. تلك المرأة التي تجمع الحطب في مكة.. إنها منذ ظهرت دعوة الإسلام وهي تؤذي رسول الله كلما رأته.. وتحمل الأشواك وتلقيها في طريقه.. وتلقي بالقاذورات في كل طريق يصل إلى باب داره ﷺ .. وتشتمه بأقبح الشتائم.. وتحرض الناس ضده.. وضد أصحابه وتدعو الناس إلى إيذائهم وسبهم، ولم تقتصر على ذلك.. بل تحكي عن رسول الله الحكايات الكاذبة.. حتى يكرهه الناس.

إنها أم جميل: تلك المرأة التي ظلت على عدائها للإسلام زمنًا طويلًا.. يشاركها في تلك العداوة زوجها (أبو لهب).. فقد كان كل منهما يعين الآخر على معاداة الرسول والمسلمين.. حتى أنزل الله فيهما قرآنًا يتوعدهما بدخول النار: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4)﴾ [المسد: 1-4].

t.me/dalanbyaabdelmsr

وشاعت الآيات في مكة.. وعلمت أم جميل بما نزل فيها من قرآن.. فغضبت غضبًا شديدًا.. وقررت الانتقام من النبي ﷺ ومن كل من يردد هذه الآيات.. فرأيتها تصرخ في شوارع مكة كالمجنونة.. ثم اقتربت مني.. ومالت نحوي.. وكنت حجرًا صغيرًا.. في حجم قبضة اليد.. فقبضت عليَّ بشدة.. فرحت أراقب الوجوه من بين فروج أصابعها وهي تنطلق بي نحو الكعبة.. كانت كلما رأت أحدًا سألته في غيظ وضيق: هل رأيت محمدًا؟

تسأل وتسأل.. وأنا أشعر بقلق شديد على رسول الله من هذه المرأة الشريرة.. التي يمتلئ وجهها عبوسًا.. إن عينيها تلمعان في احمرار.. وتحدقان في الوجوه .. وهي تضغط على أسنانها في غيظ شديد.. وتدفع الناس في طرقات مكة.. وأنا أحاول الفكاك من كفها.. لكن لا فائدة.. فقد كانت تقبض بيدها العارقة على جسدي النحيل.. إن أصابعها تزعجني.. ورائحة يدها الكريهة تخنقني.

ظلت تسير وتسير حتى وصلت قُرب الكعبة.. حيث يجلس رسول الله ﷺ مع صاحبه أبي بكر الصديق.. ورأيت الخوف على وجه أبي بكر؛ لقد كان خائفًا على رسول الله من أن تراه تلك المرأة .. وبينما أنا في حالة قلق.. إذا برسول الله يردد بعض آيات القرآن .. طالبًا الحفظ من الله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45].

ووقفت أم جميل أمام رسول الله .. وأمام أبي بكر الصديق وهي تسأل غاضبة: يا أبا بكر.. أين صاحبك محمد؟ وبينما أنا مندهش من سؤالها.. إذا بي أسمع أبا بكر يقول لها: وماذا تريدين من صاحبي؟ هزتني بعنف قائلة: لقد علمتُ أنه قال كلامًا يَسُبُّنِي فيه.. والله لو رأيته لضربته بهذا الحجر..

فأجابها أبو بكر في هدوء: لا والله.. ما سبك.. وما شتم أحدًا مطلقًا قبلك.. فكيف يشتمك؟ فالتفتت غاضبة وهي تردد: (محمدًا عصينا .. وأمره أبينا.. ودينه قلْينا) وجعلت ترددها حتى ذهبت .. وقد ألقت بي في غيظ بالقرب من رسول الله.. ومن صاحبه أبي بكر.. وسمعت أبا بكر يقول للرسول: إنها لم تَرك يا رسول الله!

فقال ﷺ: «مازال مَلَكٌ يسترني منها حتى ولَّت». نعم يا أصدقائي.. لقد كان مَلَكٌ يقف بينها وبين رسول الله ﷺ .. فلم ترَ الملك.. ولم ترَ الرسول.. إنها حقًّا معجزة كنت شاهدًا عليها.

* * *

غريب في مكة

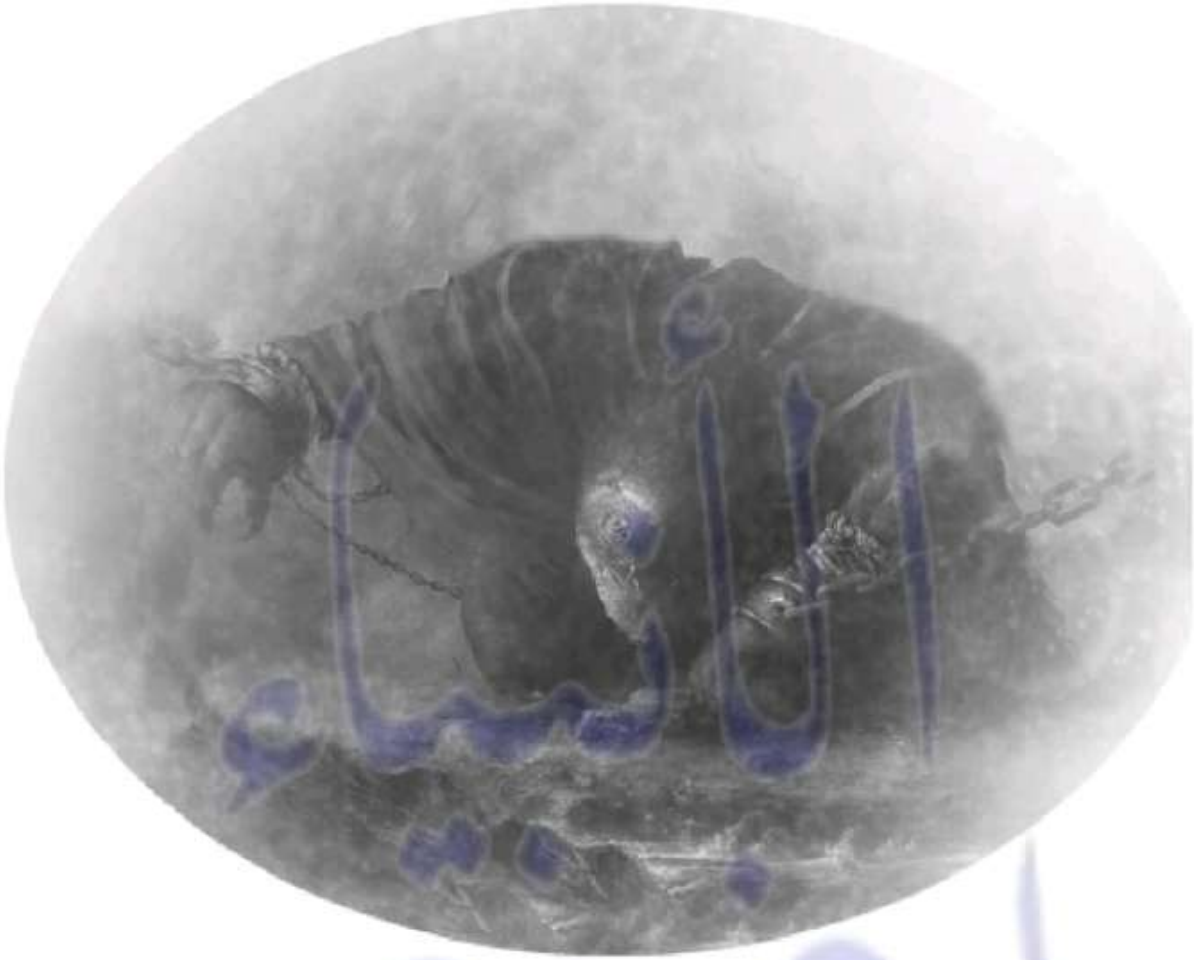

في وقت الظهيرة.. والشمس حارقة هنا في مكة .. اختبأ الناس في خيامهم ودورهم.. ووقفت أمتص أشعة الشمس الملتهبة وأتلقاها على جسدي.. فأنا حجر كبير.. أقف وحدي في هذا الفضاء الواسع من حولي.. أشاهد كل قبيلة وهي تأخذ من أسلم فيها من الضعفاء فيعذبونهم حتى يتركوا دينهم الجديد.. الإسلام.. ويعودوا إلى عبادة الأصنام.. كان يحزنني المنظر كلما رأيت أحدًا يُعذَّب.. ولم أكن أتخيل يومًا أنني سأرغم على المشاركة في هذه المأساة.

وبينما أنا غارق في تفكيري.. انتبهت على صوت رجل مخيف؛ يدفع أمامه شابًّا أسود البشرة.. طويل القامة.. كثيف الشعر.. نحيل البدن.. إنه العبد الضعيف.. صاحب الوجه الهادئ.. بلال بن رباح.. ظهر مقيدًا بالحبال أمامي.. وخلفه سيده الشرير أمية بن خلف.. يدفعه بكل قسوة ووحشية.. فسقط بلال على الأرض من الإعياء.. فشتمه أمية بأقبح الشتائم .. وعيَّره بسواد وجهه.. وصرخ فيه: أنت عبدي الخاص وتتحدى آلهتي.. تخرج عن دين سيدك.. وتعتنق دين محمد.. الويل لك مني.. وظل يركل بلالًا بكل قسوة حتى وصل قريبًا مني.. فعرَّاه من قميصه.. ودفعه فوق الرمال الساخنة.

t.me/alhadeqaalmardhsr

ووضعوني فوق صدر بلال.

فهذا وجه بلال يتلوى من الألم أمامي.. كان يبدو عليه الجوع وشفتاه جافتان من العطش.. وأمية يصرخ فيه بكل قسوة: اكفر بمحمد.. وإذا ببلال يهتف قائلًا: أحدٌ.. أحَد.. وأنا أردد معه في سري .. الله أحد.

وبدأ بلال يردد بصوت ضعيف بعض آيات القرآن.. كم أنا حزين عليه.. وما أشد غيظي من أميَّة الذي لا يكف عن تعذيبه كل يوم.. حتى إذا تعب من ضربه .. أعطى السوط لأحد غلمانه.. وأمره أن يكمل الجلد.. كل يوم يُعَذَّبُ بلال أمامي.. ولا أحد يهتم به.. فهو من العبيد الضعفاء.. الغرباء عن مكة.. لا أهل له هنا يدافعون عنه؛ لذلك عاش بلال أيامًا طويلة.. يتألم من شدة التعذيب.

وظللنا على ذلك زمنًا.. حتى مر بنا أحد سادات مكة.. الذين اتبعوا الإسلام؛ إنه الرجل الصالح أبو بكر الصديق رضى الله عنه.. الذي آلمه منظر بلال وهو يعذَّب.. ولم يحتمل رؤية السوط يهوي على جسد بلال النحيل.. فتقدم من أمية قائلًا: خذ ما شئت من المال واترك لي بلالًا .. فرأيت الفرح في وجه أمية الذي قال سريعًا: أعطني خمسة أكياس من المال.. فدفع أبو بكر المال إليه .. وتقدم نحوي سريعًا .. وراح يزيحني من فوق صدر بلال .. وفك قيوده .. ثم أقامه .. وناوله شربة ماء.. ثم احتضنه وربت على ظهره قائلًا له: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله.

ومرت الأيام.. وهاجر المسلمون من مكة، وتركوها، وذهبوا إلى يثرب.. واختفى بلال من مكة.. وبقيتُ وحدي أعيش على ذكريات المسلمين.. وأتمنى رؤيتهم.. حتى حقق الله حُلمي بعد سنوات بدخول جيش المسلمين منتصرًا على أهل مكة.. ورأيت حبيبي بلالًا يصعد فوق ظهر الكعبة بأمر من رسول الله وينادي بأعلى صوته:

الله أكبر .. الله أكبر.

توقف الجميع عن الحركة.. وسالت الدموع على الخدود.. وهم يستمعون إلى نداء بلال الجميل.. ووقفت في مكاني.. يرن داخلي صوت المؤذن الأول.. بلال بن رباح.. الذي سمعت منه أول نداء للأذان.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

رأس الجهل

انتبهت اليوم على رؤية أبي جهل.. يمر من أمامي.. وخلفه الخدم يحملون متاعه.. ويمسكون بذيل ثوبه الطويل.. وهو يطوف في غرور وفخر حول الكعبة.. ثم اتجه إلى الأصنام.. فسجد أمامها كعادته كل يوم.. ووضع تحت أقدامها هداياه الثمينة.

ثم جلس قريبًا مني.. مع سادات مكة في مجلسهم .. الذي خصصوه لهم قرب الكعبة.. وراح يقول لهم: يا أهل مكة.. لقد حاولنا مع محمد بكل الطرق كي يترك دينه.. عرضنا عليه المال.. أو أن يكون أميرًا علينا.. فأصر على أن ربه بعثه إلينا رسولًا.. وأنزل عليه كتابًا يُسمَّى القرآن.. وأمره أن يبشرنا بالجنة.. ويحذرنا من النار.. وادَّعى أنه لا يريد منَّا مالًا ولا مُلكًا.. إنما يريد أن يبلغنا رسالة ربه.. وهو لنا ناصح أمين.. لقد يئسنا منه.. ومن إصراره على ترك عبادة آلهتنا؛ لذا فقد قررت قتله.. فصاح المشركون من حوله فرحين.. وهتفوا له: نحن معك يا أبا الحكم.. فصاح أبو جهل في غطرسة: أنا وحدي سأقتله.. ولكنْ أعينوني على قتال أسرته الهاشمية الكبيرة.. فربما فكروا في الانتقام مني.. فصاح القوم من حوله: أرحنا من محمد ودينه.. ولك ما

شئت، فقال أبو جهل: اتفقنا.. غدًا عندما يأتي للصلاة سترون ما أفعل.

وبِتُّ ليلتي أفكر وأنا خائف على رسول الله من هؤلاء المجرمين.. إن عقولهم متحجرة .. وكلهم يكره الإسلام ونبيه.

وفي الصباح إذا بأبي جهل يأتي مبكرًا على غير عادته.. ويقترب مني.. ويحتملني.. وكنت حجرًا ضخمًا أعيش قرب الكعبة.. لكنَّ أبا جهل .. استطاع أن يحملني .. ووضعني جانبًا.. واتكأ فوقي ينتظر مجيء رسول الله. واجتمع زعماء المشركين ينتظرون ما سيحدث.. كلهم ينظر نحوي متعجبًا من ضخامتي.. ومعجبًا بمنظري.. لقد علموا أنني أداة القتل التي سيقتل بها رسول الله.. أما أنا فقد كنت حزينًا للغاية.. وتمنيت ألا يظهر رسول الله هذا اليوم.

وما هي إلا ساعات حتى ظهر رسول الله... يمشي في أمان وهدوء نحو الكعبة.. ورحت أتابع طوافه حولها.. ثم وقوفه للصلاة قربها.. وإذا بأبي جهل يحتملني بيديه.. حاولت مقاومته بلا فائدة فالشرر يتطايرمن عينيه الحمراوين... وأنفاسه الحارة تتلاحق من الغضب.. ثم تقدم بي نحو رسول الله وهو ساجد؛ ليلقي بي فوق رأسه.

وفجأة تراجع أبو جهل مذعورًا إلى الخلف وظهر الرُّعب والفزع على وجهه.. حتى كاد يسقط على الأرض.. سقطت من يده متدحرجًا وهو يرتعد.. بينما رسول الله ﷺ يكمل صلاته في أمان.. وأبو جهل يفرُّ ها ربًا وهو يصرخ.. والعرق يتصبب منه.. فاستقبله المشركون متعجبين: ماذا أصابك يا أبا الحكم؟! لقد خيبت آمالنا.

فرد أبوجهل متلعثمًا: بمجرد أن اقتربتُ منه.. رأيت جملًا ضخمًا.. عيناه كالنار.. وأنيابه كالسيوف.. ما رأيت مثله في حياتي.. كان يقف برأسه الضخم.. وراح يقترب مني.. وكاد أن يقتلني.. أبعدوه عني.. وراح يرتجف من الخوف.. حتى أشفق عليه من حوله.. فلفه أحدهم في عباءته.. وأخذه إلى داره.. وغاب الجميع عن نظري.. ووقفت فرحًا بنجاة رسول الله ﷺ.

* * *

t.me/alanbyguardmsr

محنة الرسول

في أكبر مدينة في الحجاز بعد مكة والمدينة.. هنا على ظهر جبل غزوان.. وعلى ارتفاع ستة آلاف قدم.. حيث الجو اللطيف المعتدل.. والماء الكثير.. والزراعة المنتشرة حولي، والثمار المتدلية أمامي في كل مكان.

هنا في مدينة الطائف.. أعيش مع أثرياء قريش.. فقد أقاموا لهم بيوتًا حولي.. ليقضوا الصيف فيها.. ولكنهم - بكل أسف - يشربون الخمر بكثرة .. وينافسون من حولهم .. في عبادة الأصنام.

ومرت الأيام.. حتى رأيت ذات يوم رجلين من بعيد.. يقبلان نحوي.. قادمين من جهة مكة.. كانا يقطعان الطريق إلى مدينتي... لقد تعجبت منهما.. وهما يسيران على أقدامهما بلا دابّة.. كيف يسيران كل هذه المسافة بلا راحلة.. والطريق بين مدينتي وبين مكة طويل جدًّا!

رحت أراقب الشخصين القادمين باهتمام.. حتى وصلا إلى مدينتي.. إنه رسول الله محمد ﷺ .. ومعه غلامه زيد بن حارثة.. أنا سعيد جدًّا برؤية الرسول وصاحبه.. لابد أنهما جاءا لأمر خطير.

اقترب رسول الله من مدينتي.. وظل يسير حتى وصل إلى ثلاثة من زعمائها.. وجلس يحدثهم عن دينه الجديد.. ويدعوهم إليه.. كم أتمنى أن يقبلوا كلامه .. لكنهم

t.me/dlanbujawardmsr

بكل أسف عارضوه.. وردوا عليه ردًّا قبيحًا.. وقاموا وتركوه .. فقام رسول الله مهمومًا.

وظل ﷺ عشرة أيام في مدينتي .. يتردد على المنازل.. يدعو الناس إلى عبادة الله.. وترْك عبادة الأصنام .. كان يدعوهم في الأسواق والطرقات والبيوت.. حتى صارت دعوته حديث المدينة .. وبدلًا من أن يسمع أهل مدينتي لرسول الله.. أصروا على طرده.

ويأمر من زعماء مدينتي اجتمع الأطفال والخدم والعبيد.. وراحوا يرمون رسول الله بالحجارة .. وهو خارج حزينًا من أرضي.. ومال فوقي أحد الخدم.. وكنت حجرًا صغيرًا.. فقبض على جسدي الضعيف النحيل.. وألقاني نحو رسول الله.. حاولت التراجع .. لكنني فشلت.. أما رسول الله فكان كلما رفع إحدى رجليه أو وضعها أصابه حجر.. حتى سال الدم من قدميه الشريفتين.. وأنا أبكي.. وهم يضحكون في سخرية.. كم عانى رسول الله واحتمل من أجل نشر دين الله.

ظل رسول الله يمشي.. وصاحبه زيد يصد الحجارة عنه.. حتى أصيب رأس زيد.. أما أنا فكنت كلما سقطت أرضًا تقاذفتني الأرجل.. وحملتني الأيدي.. وقذفت بي نحو رسول الله.. حتى وصلت معه إلى بستان يبعد عن مدينتي قليلًا .. فرجع الأطفال والخدم بعد أن صدهم صاحبا البستان.. وظللت مرميًّا على الأرض أراقب رسول الله وأنا حزين لما أصابه.

وفي هذا الجو الصعب إذا بي أرى جبريل وحي السماء يهبط نحو رسول الله. ومعه ملَك الجبال الذي تقدم نحو رسول الله في أدب قائلًا: مُرْني بما شئت يا رسول الله.. إن أردت أن أهدم عليهم الجبال لفعلت.. لقد سمع الله قولهم لك.. ورأى ما فعلوه معك.

فرد الرسول الرحيم قائلًا: «دعهم .. عسى أن يُخرِجَ الله من بينهم من يؤمن بالله..». وراح رسول الله يدعو الله أن يهدي قومه.. وأن يعينه على دعوته.. ولا يتركه وحيدًا.. وأنا أتعجب من رحمته ﷺ بمن أساءوا إليه.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

بستان العنب

في جدار هذا البستان الجميل أعيش.. أنظر إلى الماء الذي يجري بين أشجاره كالفضة المذابة.. وأراقب حبات العنب التي تنمو.. وتتدلى هنا وهناك.. وأستمتع بشجرة العنب التي يمتد ظلها فوقي في كل مكان .. وأتابع صديقي خادم البستان وهو يهتم بكل شجرة في بستاني.. وكل حبة عنب من حولي.. كما أفرح برؤية صاحبي البستان إذا جلسا في ظلي.. يتناولان قطفًا من العنب وهما يمزحان.

ومرت الأيام .. وفي يوم من أيام الصيف الحارة.. إذا بي أرى على البعد رسول الله ﷺ يقبل نحوي .. ومعه غلامه زيد بن حارثة.. إنه متعب جدًّا.. وخلفه جماعة من الأطفال والخدم يسبونه بأقبح الشتائم.. إنهم من أهل الطائف الأشرار .. أنا أعرفهم جيدًا.. فمدينتهم تبعد عن بستاني قليلًا لقد اعتدوا على أشجاري أكثر من مرة كلما مروا من طريقي.

وبمجرد أن اقتربوا من بستاني خرج إليهم صاحبا البستان.. ووقفا في وجوههم..

t.me/alanbyaawardmsr

فابتعدوا عن رسول الله وصاحبه زيد. فجلس ﷺ وأسند ظهره إلى جداري.. وراح يلتقط أنفاسه المتلاحقة بصعوبة بالغة.. بينما أراقبه من موضعي المتميز في هذا الجدار.. لقد كان ﷺ في الطائف.. وقد ذهب يدعو أهلها للإسلام.. لكنهم بكل أسف آذوه وسبوه وطردوه.. هكذا علمت من حوار صاحبي البستان.. عتبة بن ربيعة.. وشيبة بن ربيعة.. إنهما رغم عدم إيمانهما حزنا مثلي لما أصاب رسول الله.. وآلمهما منظره.

رحت أنظر إلى رسول الله وهو جالس بجوار جداري.. فرأيت الألم والحزن على وجهه.. والعرق يتصبب على خده كحبات اللؤلؤ.. وهو يرفع يده إلى السماء داعيًا الله أن يعينه على دعوته.

وبينما رسول الله في كرب وحزن.. وقد أصابه جهد شديد... إذا بصديقي خادم البستان يخرج من بستاني يشق طريقه نحو النبي .. يحمل طبقًا بداخله قطف من عنب.. اقترب صديقي في حذر من رسول الله.. وتقدم شيئًا فشيئًا فى أدب شديد قائلًا: تفضل يا سيدي.. فقد أحضرت لك هذا العنب بإذن من صاحِبَي البستان.. نظر رسول الله إلى صاحبي وابتسم مادًّا يده إلى العنب قائلًا: بسم الله الرحمن الرحيم.

نظر الغلام متعجبًا إلى وجه رسول الله، ثم قال: هذه جملة غريبة.. وقد عشت في هذا البستان زمنًا ولم أسمع أحدًا قالها من قبل.

فقال له ﷺ: «ما اسمك؟» فرد صديقي: اسمي عدَّاس، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الدين الذي تدين به يا عداس؟»، فقال صاحبي: ديني النصرانية.. فقال ﷺ: «من أي البلاد أنت؟»، فقال صاحبي: من بلدة نينوى، فقال ﷺ: «إذن أنت من قرية الرجل الصالح يونس بن متَّى»، قال عدَّاس متعجبًا: وكيف عرفت يونس بن متى؟ وماذا تعلم عنه؟

قال ﷺ: «إن يونس أخي.. كان نبيًّا وأنا نبي».

وبمجرد أن سمع عدَّاس هذه الجملة رأيته ينحني نحو رسول الله يقبل رأسه ويده.. ويعلن إسلامه بين يديه.. لقد علم عدَّاس أخيرًا من كلام رسول الله أنه نبي.. وأنه خير من مشى على الأرض.. نعم يا أصدقائي فرسول الله قد عرَّفه الله بأشياء لا يعرفها إلا نبي.

مرَّ الوقت ومشى رسول الله تاركًا جداري.. وبقيت وحدي أحمل ذكريات بستاني.. الذي كان استراحة لرسول الله بعد معاناته في الطائف.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

ذكاء أسماء

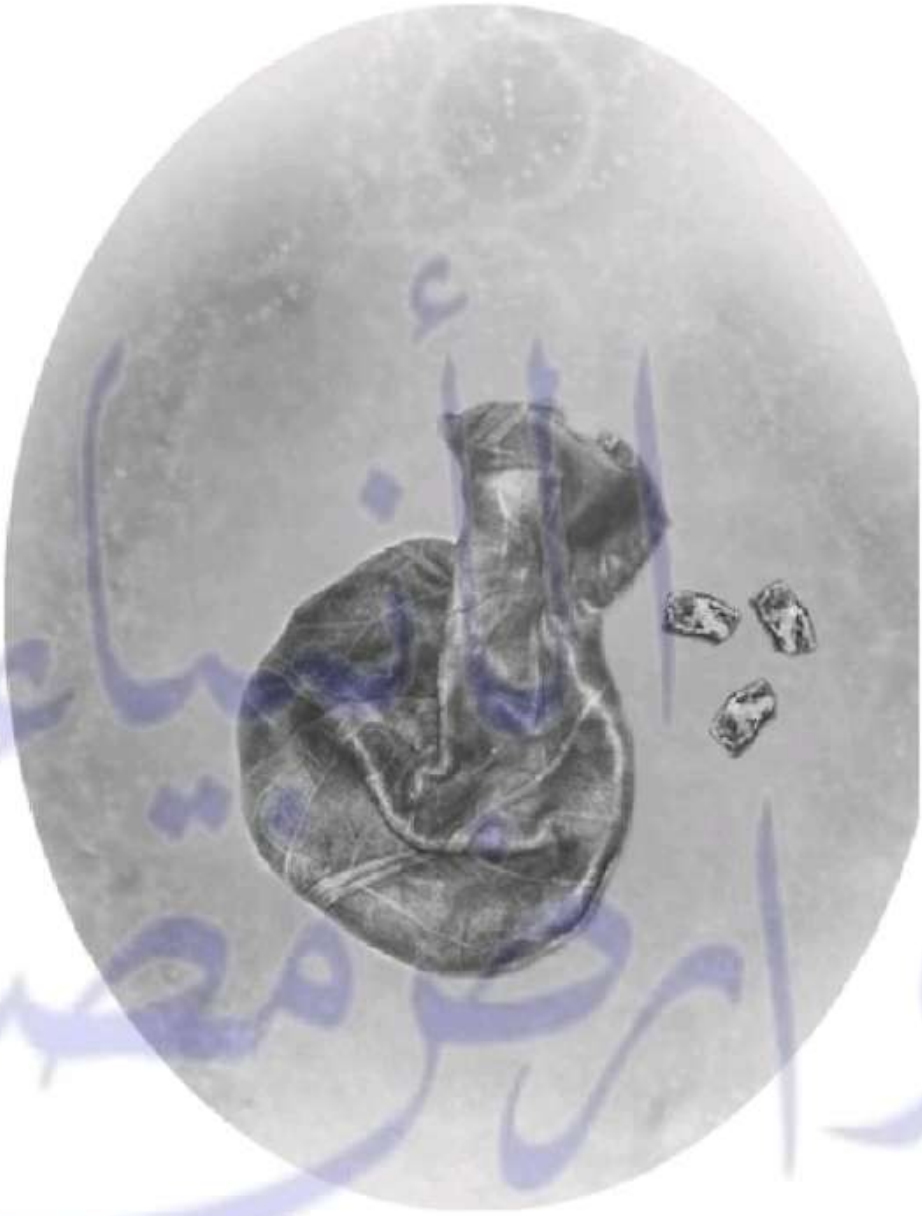

في إحدى دور مكة.. وبالتحديد في دار الصحابي الجليل أبي بكر الصديق.. تراني مرميًّا على الأرض كعادتي.. حجر صغير دائري الشكل.. أشبه قطعة العُملة المعدنية.. وفي ساعة الظهيرة.. والشمس تسطع بحرارتها فوق مكة.. شعرت بدرجة الحرارة العالية التي أسخنت جسدي.. ولكن ماذا أفعل؟ فهذه طبيعة الجو هنا.. حتى إن الناس يفرون من حر الشمس إلى خيامهم ودورهم .. وأهل داري كباقي أهل مكة في هذا الأمر.. يستترون في دارهم من شدة الحر.

وبينما نحن جلوس بالدار.. وأنا أستمع إلى صوت الصحابي الجليل أبي بكر الصديق يحدث أبناءه عن رسول الله.. وكيف صار حال أهل مكة معه.. وكيف أنهم لا يكتفون بتعذيب أصحابه وقتلهم.. بل إن الأمر وصل إلى أنهم يخططون لقتله ﷺ.

وبينما الصدِّيق يتحدث.. وأنا أتابع حديثه بشغف.. إذا بالباب يطرق .. تعجبت .. مَن الذي يطرق الباب في تلك الساعة الحارة؟ لابد أن الأمر خطير. قطع تفكيري صوت

أبي بكر يسأل: مَنْ بالباب؟

فأجابه صوت جميل: رسول الله يستأذن! فاندفع أبو بكر يفتح الباب مندهشًا .. وإذا بنسمة باردة جميلة تدخل الدار مع رسول الله.. ويتحول جوها الحار إلى جو لطيف .. معبأ برائحة زكية تملأ المكان من حولي.. وهذا أبو بكر يستقبل رسول الله في سعادة .. وقد أحضر كوب ماء بارد.. وناوله لرسول الله ﷺ.

نظرت إلى وجه أبي بكر فرأيت الدهشة عليه.. ولم تطل دهشته .. فقد أعلمه رسول الله لم خرج في تلك الساعة الحارة .. فقد أذن الله له بالهجرة إلى يثرب.. عَلتِ الفرحة وجه أبي بكر الذي قال: خذني معك أصحبك في سفرك يا رسول الله.

ومر يومان.. ورحل أبو بكر مع رسول الله.. وبقيتُ مكاني.. أعيش مع أبناء أبي بكر في الدار.. حتى رأيت الجد الكبير أبا قحافة قد جاء لزيارة دار ولده أبي بكر الصديق .. وهذه السيدة أسماء بنت أبي بكر تستقبل جدها مرحِّبة به.. وهي تقبِّل يده.. ثم أجلسته.. وكان رجلًا أعمى.. وما إن جلس حتى سألها عن ولده أبي بكر قائلًا: أعلم أن ولدي قد هاجر مع محمد.. ولكن يا بُنيتي، هل أخذ معه كل ماله وترككم بلا مال؟ فردت السيدة أسماء في ارتباك: بل ترك خيرًا كثيرًا يا جدي.. وراحت تجمع سريعًا الأحجار الصغيرة الملقاة في أرض الدار.. وتضعها في قطعة قماش.. ثم ربطتها علينا حتى صِرْتُ بجوار أصدقائي من الأحجار صُرَّة كبيرة .. عند ذلك أخذت بيد جدها وهي تقول له: ضع يدك هنا.. فشعرتُ بيد الجد تتحسسنا وهي تمر فوقي..وفوق باقي أصدقائي .. فظن أننا مال، فقال لأسماء: ما دام قد ترك لكم هذا المال.. فأنا مطمئن عليكم الآن.. وخرج سعيدًا، وتنهدت أسماء لتعلن ارتياحها.

كم أنا فرح بأن كنت سببًا في خروج السيدة أسماء من هذا الموقف الحرج.. وفرح أكثر أن الأمر مرَّ بسلام.

* * *

t.me/alanbyguaramsr

الغار المهجور

في قمة جبل ثور جنوب مكة .. وفي غارٍ مدخله على شكل هلال الآن.. تراني.. حجرًا ضخمًا.. أطل نحو بلاد اليمن.. هنا أسكن .. وهنا موطني الذي تحبونه مثلي.. فوطني هو غار ثور المعروف لديكم .. وغاري عبارة عن ثلاث صخور؛ واحدة جهة اليمين.. والأخرى يسارًا.. والثالثة من الخلف.

كنت أعيش حياتي يا أصدقائي وحيدًا.. حتي ظهر أمامي ذات يوم شخصان.. كانا قادمَيْن من مكة.. ويتجهان نحو بلاد اليمن.. لقد اقتربا يقطعان الطريق الرملي في اتجاهي.. ساعتيْن وأنا أنظر إلى سيرهما في الرمال الساخنة دون توقف.. اقتربا شيئًا فشيئًا.. حتى وصلا إلى الطريق الوعر المؤدي إلى غاري.. كانا كلما اقتربا ازداد الطريق وعورة.. هل حقًا ما أرى؟!

أنا لا أصدق عيني.. فهذا رسول الله ﷺ .. وصاحبه أبو بكر الصديق.. ما أجمل تلك اللحظات! كان جبلي صعب المرتقى .. كثير الأحجار.. فبدأ رسول الله في

صعوده فوق صخوره الناتئة بلونها القاتم.. وخلفه أبو بكر الصديق .. ظلا يصعدان فوق جبلي المنزلق حتى وصلا إلى فتحة غاري بعد جهد كبير .. فقال أبو بكر: انتظر قليلًا يا رسول الله؛ حتى أستكشف هذا الغار.

كان شكلي مخيفًا بعض الشيء .. لكنَّ أبا بكر اقتحم غاري.. وراح ينظر في جوفه.. ويدور حول جوانبه في شجاعة.. حتى اطمأن إليه.. ثم قال: تقدم يا رسول الله.

أنا في قمة السعادة الآن، فأنا أحتضن في جوفي رسول الله وصاحبه.. حقيقة لا أصدق نفسي.. فهذا رسول الله وجهه يتلألأ كالقمر.. ونوره يملأ المكان حولي.. نعم نور حقيقي يا أصدقائي.. فلم يكن الرسول وصاحبه فقط في غاري.. بل هنا جمع من الملائكة.. لا أستطيع حصر عددهم.. إنها لحظات لا تنسى.

ومر يوم.. وانتشرت الخيول في الصحراء أمامي وفي الجبال والوديان.. الكل يبحث عن رسول الله.. إنهم يفتشون كل مكان.. يتقدمهم خبراء آثار الأقدام.. إن المشركين بهذه الطريقة سيكتشفون سرِّي.. ويكل أسف.. تقدموا نحو جبلي.

إن أشكالهم مخيفة.. وملامحهم حادة وغاضبة.. والشر في عيونهم.. والسيوف في أيديهم.. وما هي إلا لحظات حتى وصلوا إلى فتحة غاري.. فامتلأتُ رعبًا وخوفًا على رسول الله وصاحبه.

وإذا بأبي بكر يهمس في أذن رسول الله: إني أخاف عليك يا رسول الله.. فابتسم له الرسول في حنان قائلًا بكل ثقة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

عند ذلك وصل المشركون أمام فتحة غاري.. ليجدوا صديقتي العنكبوت قد نسجت خيوطها فوق فتحتي فأغلقتها.. وإذا بحمامتين قد وضعتا بيضهما ورقدتا عليه.. فما كان من المشركين إلا أن انصرفوا خائبين.. وهم يرددون: هنا خيوط عنكبوت نُسجَتْ قبل ميلاد محمد.

وبعد ثلاثة أيام قضاها الرسول داخلي.. انطلق مع صاحبه ليكملا رحلة الهجرة.. ويقيتُ مكاني شاهدًا على هذا الحدث العظيم.. وقد تغيرت ملامحي الآن.. وامتد العمران بمكة نحوي.. حتى صار جبلي على مشارفها.

وقبل أن أترككم.. أدعوكم جميعًا لزيارتي.. فعندي ستذكرون أحداث الهجرة.. وترون المكان الذي احتضن نبيكم.. ستجدون الدخول إليَّ سهلًا الآن.. فقد تم نحت فتحة في الصخور نحوي من الجهة الشرقية لهذا الغرض.. أنا في انتظاركم.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

استراحة الهجرة

في صحراء الجزيرة العربية أعيش .. على جانب هذا الطريق الذي يصل بين مكة والمدينة.. إنه طريق القوافل التجارية التي تمر بي.

تمتد الصحراء أمامي بلا نهاية.. لا أثر للحياة فيها سوى بعض الحشائش الصحراوية التي نبتت من مياه الأمطار .. ولا يؤنس وحدتي هنا إلا هذا الراعي.. الذي يأتي من وقت إلى آخر.. ليرعى غنمه بالقرب مني.. فأنا حجر ضخم.. ودائمًا يأتي هذا الراعي ليستريح من حر الشمس .. فيجلس في ظلِي.

وفي يوم من أيام الصيف الحارة.. وبينما الطريق الذي أسكن على جانبه خال وقت الظهيرة .. والشمس تسطع فوق رماله.. والسراب يتراقص ممتدًا أمامي كالأمواج – إذا بي أرى على البعد جملَين يحملان شخصين.. إنهما يقطعان الصحراء سيرًا.. ويتجهان نحوي شيئًا فشيئًا.. حتى وصلا إلى ظلِي .. فهبت ريح باردة .. أذهبت عني حر الشمس.. إنه رسول الله محمد ﷺ .. وصاحبه أبو بكر الصديق

.. كم أنا سعيد برؤيتهما.

فهذا أبو بكر أمامي.. يسوي الرمال بيده ثم يفرش فوقها قطعة جلد فروها ناعم، ثم تقدم من رسول الله في أدب قائلًا: استرح يا رسول الله.. فقد كان الطريق شاقًّا.. فنظرت إلى رسول الله.. فإذا بالإرهاق يظهر على وجهه.. والعرق يتصبب منه كحبات

t.me/alombygowardmsr

اللؤلؤ.. كم أنا مشفق على رسول الله الذي يتمدد الآن في ظلي من حر الشمس.. نائمًا على جنبه الأيمن.. في طمأنينة وهدوء.. ليت هذه اللحظات تطول معه.

أما أبو بكر فقد مشى أمامي يتلفت .. ينظر حوله.. كأنه يراقب ظهور أي شخص.. وبينما أبو بكر ينظر .. إذا به يلقى صديقي الراعي.. يسوق غنمه أمامه.. فأسرع إليه.. وعرض عليه أن يشتري منه لبنًا.. وقدم له وعاءً فارغًا.. مغطًّى بقطعة قماش نظيفة.. وطلب منه أن ينظف ضرع الشاة من الغبار.. ثم راح يصب عليه الماء لينظف يده.. فحلب له الراعي قليلًا من اللبن.. وأنا أراقب حرص أبي بكر على نظافة الوعاء واللبن.. وبينما أنا أنظر إلى أبي بكر .. إذا به يُخرِجُ قِرْبَةً من الجلد بها ماء بارد.. وراح يصب الماء البارد فوق جدار الإناء.. أظنه يبرد اللبن الحار لرسول الله ﷺ.

نعم يا أصدقائي .. فقد اقترب الصِّدِّيق من رسول الله .. فقدم له الإناء قائلًا: اشرب يا رسول الله، فتناول الرسول الإناء بيده اليمنى وذكر اسم الله تعالى.. ثم شرب.. وأبو بكر ينظر في ارتياح وسعادة.

مر الوقت سريعًا.. وذهب حر الشمس.. فقام ﷺ مع صاحبه بعد أن استراحا في ظلي.. واتجها ناحية المدينة المنورة.

فها هو ذا أبو بكر خائف على رسول الله أن يصيبه مكروه.. لذا يدور حوله يمشي مرة عن يمينه.. ومرة عن يساره.. ومرة ينظر خلفه.

راح الركب يبعد عني شيئًا فشيئًا.. ووقفت مكاني راسخًا.. أراقب سير رسول الله في هدوء.. وأتابع تلك السحابة التي تظلله ﷺ.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

تذكر انك حملت هذا الكتاب

من جروب الأنبياء وأرض مصر

t.me/alanbyawardmsr

لكل ما هو حصرى وجديد وقديم و

نادر و مميز

جميع الكتب مجانية

خير البقاع

هنا في مدينة رسول الله التي استقر بها المسلمون.. أرى الصحابة الأبرار يتحركون حولي في كل مكان.. ها هو ذا رسول الله يدخل مدينتي فوق ناقته.. وسط فرحة أهلها الذين استقبلوه بالأناشيد.. ورايات الترحيب.. وهذه ناقته ﷺ أمامي.. تبرك في تلك الأرض القريبة مني.. التي ينتشر بها شجر النخيل.. فيسأل رسول الله: لمن هذه الأرض؟ فيجيبه الناس: إنها لغلامين يتيمين.. وإذا برسول الله يبعث للغلامين يستأذنهما في شراء أرضهما.. فأراد الغلامان أن يعطياه الأرض هدية لكنه ﷺ أصر على شرائها.

ومرت الأيام وأنا مندهش .. فرسول الله زاهد في الدنيا.. وأي شيء يمتلكه يتصدق به أمامي على فقراء المسلمين.. فلماذا اشترى هذه الأرض؟!

وبعد أيام .. فوجئت بالصحابة يقومون بتطهير تلك الأرض الخربة.. ويقطعون الأشجار الجافة فيها.. وجاء ﷺ .. وبدأ يعمل مع أصحابه.. كانت البسمة لا تفارق

t.me/alenbyaardmsr

وجوههم.. وهم يعملون في همَّة ونشاط.. إنهم يرفعون بناء.. ويحملون أصدقائي من الأحجار.. جماعة تحمل هنا.. وأخرى تحمل هناك .. وهم يرفعون أصواتهم بأناشيد جميلة:

كنت أراقب العمل بكل اهتمام.. وأتابع نشاط الصحابة.. وهم يتناولون الأحجار بعضهم من بعض بكل حب واجتهاد.. ورسول الله يحمل معهم حتى أشفق عليه أصحابه.. وطلبوا منه أن يستريح.. لكنه ﷺ كعادته .. كَرِه أن يتميز على أصحابه.. فهو يبحث عن أصعب الأعمال ويقوم بها.. فكان يحمل أضخم الأحجار وأكثرها عددًا.. بينما كان الصحابة يحملون حجرًا حجرًا.. إلا الصحابي الجليل عمار بن ياسر.. فقد رأيته يحمل حجرين حجرين.. وجاء دوري .. وكنت حجرًا متوسط الحجم.. فحملني الصحابي الجليل عمار بن ياسر.. وحمل معي حجرًا آخر.. وإذا بأحد الصحابة يقول له: احمل حجرًا واحدًا حتى لا يصيبك التعب.. وتستطيع أن تواصل العمل.. فرد عمار مبتسمًا: إنني أحمل حجرين حتى آخذ من الله ثوابًا أكبر.

عند ذلك اقترب منه رسول الله في حنان ورحمة.. وراح ينفض بيده الشريفة الغبار الذي غطى رأس عمار بسببي.. فابتسم عمار إلى رسول الله.. وهو ينظر إليه بكل تقدير.

كان الصحابة يعملون ليل نهار .. وكذلك رسول الله .. لم تذق عيناه طعم النوم.. فقد كان يعمل معهم رغم كبر سنه بكل ما أوتي من قوة.. يشجعهم ويخفف عنهم.. ولم يتركهم يعملون وحدهم..

وتم البناء العظيم بعد أن أخذت مكاني فيه.. إنه مسجد رسول الله.. الذي فرشت أرضه بالرمال.. وأقيمت أعمدته من جذوع النخل .. وجدرانه من الطوب .. أما سقفه فجزء منه بجريد النخل.. والباقي مكشوف .. وله ثلاثة أبواب لا تُغلق .. فمسجدي لا يقتصر على صلاة المسلمين، بل صار مدرسة يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم من رسول الله.. ومكانًا للنبي ﷺ يستقبل فيه الوفود يعرفهم بالإسلام .. ويناقش فيه مشكلات المسلمين.. ومسجدي مع كل ذلك يسكن في جزء منه عدد كبير من فقراء المسلمين الذين جاءوا من مكة.. ولا دار لهم .. ولا مال ولا أهل.

ومع كل أذان أرى المسلمين يأتون من كل مكان إلى الصلاة.. ليصطفوا خلف رسول الله.. وهو يتلو آيات القرآن.. هذا القرآن الذي كان يُتلى في مكة سرًّا.. يتردد الآن عاليًا في مسجد رسول الله، ذلك المسجد الذي كُنتُ أحد المشاركين فيه وشاهدًا على بنائه.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

تسبيح الحصى

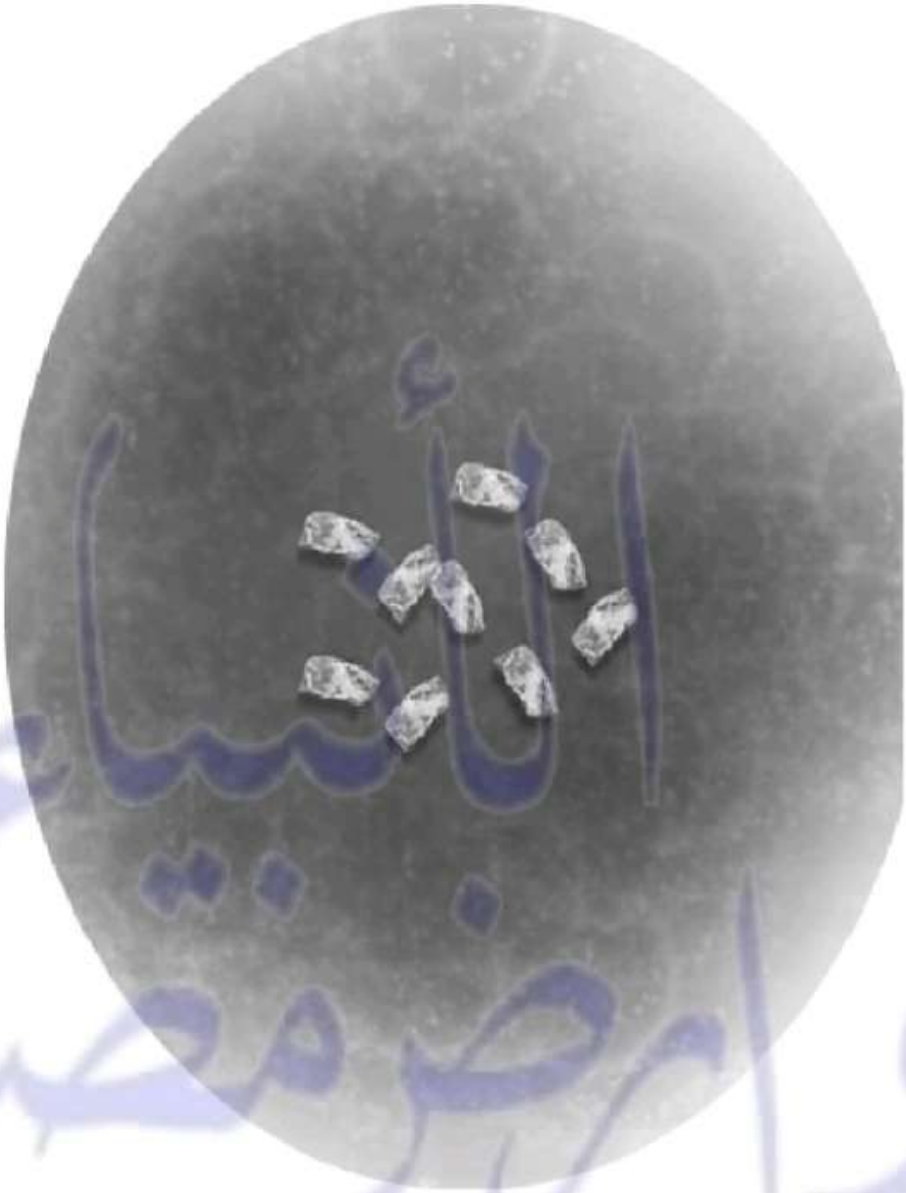

في تلك المدينة الطيبة.. المدينة المنورة.. أحيا كباقي الأحجار من حولي.. لا أحد يعرف عني شيئًا.. فأنا مجرد حجر صغير.. مرمي في أطراف مدينة رسول الله.. تلك المدينة التي عاش فيها وأحبها ﷺ.

ومرت الأيام.. وأنا كما أنا .. حتى انتبهت ذات يوم على رؤية نور يقترب مني.. إنه رسول الله قد أقبل نحوي.. وقد اندهشت من مجيئه ﷺ بمفرده إلى هذا المكان.

إن أصحابه لا يفارقونه أبدًا.. ظل رسول الله يقترب ويقترب حتى جلس أمامي.. هذه أول مرة أرى فيها رسول الله بهذا القرب.. إنني الآن أمامه تمامًا .. ما أروع هذا النور الذي أراه في وجهه ﷺ!

إن لسانه لا يتوقف عن ذكر الله.. وما هي إلا لحظات حتى حضر أحد أصحابه.. إنه أبوذر الغفاري .. الذي أقبل فرحًا يُلقي السلام على رسول الله .. فرد الرسول التحية بأحسن منها.. ثم أمره بالجلوس بعد أن اطمأن عليه.. وعلم أنه جاء ليسمع ويتعلم ..

t.me/alanbyawardmsr

فجلس أبو ذر الغفاري على يمين رسول الله ﷺ.. ثم جاء أبوبكر الصديق

يمشي مسرعًا .. حتى وصل إلى رسول الله .. فسلم عليه.. فرد رسول الله السلام.. ثم أشار إلى أبي بكر ليجلس .. فجلس بجانب أبي ذر.. ثم رأيت عمر بن الخطاب جاء بعد أبي بكر مباشرة فسلم.. ثم جلس على يمين أبي بكر.. ثم جاء عثمان

فسلم.. ثم جلس على يمين عمر

حتى صرتُ محاطًا بهذا المجلس المهيب.

وصرت في منتصف حلقة يجلس فيها رسول الله ﷺ وحوله أبو بكر وعمر وعثمان وأبو ذر

وهم يستمعون في اهتمام إلى رسول الله.. الذي تحرك بيده الشريفة نحوي أنا وبعض الحصى من حولي.. ما ألين كف رسول الله! وما أجمل رائحتها! حتى إنني لم أتمالك نفسي أنا وإخوتي من الحصى.. فوجدنا أنفسنا نسبح في كفه ﷺ حتى سمع الصحابة تسبيحنا .. وعلت الدهشة وجوههم.. فهذه أول مرة يسمعون فيها صوت تسبيحنا.. الذي يشبه دوي النحل.. ثم وضعنا رسول الله ﷺ على الأرض فسكتنا .. ثم حملنا ووضعنا في كف أبي بكر فسبحت مع أصدقائي في كفه

. ثم أخذنا رسول الله ووضعنا على الأرض فسكتنا.. ثم حملنا ووضعنا في كف عمر

فسبحنا.. حتى أسمعناهم صوتنا.. ثم وضعنا رسول الله على الأرض فسكتنا .. ثم أخذنا ووضعنا في كف عثمان

فسبحت مع أصدقائي في كَفِّه، كما سبحنا في كفَّي أبي بكر وعمر.

ولم تدم فرحتنا طويلًا .. فقد أخذنا رسول الله ﷺ ووضعنا على الأرض قائلًا: «هذه خلافة النبوة». فعلمت أن خلفاء النبي سيكونون ثلاثة.. هم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان.. نعم، بهذا الترتيب كما بشر رسول الله ﷺ.

ويقيت مكاني شاهدًا على تلك المعجزة.. وتلك البشارة التي حدثتكم عنها.

* * *

t.me/alanbyawaramsr

أسد الله

قريبًا من جبل «أُحد» المعروف بمكة أعيش .. ممتدًّا بقامتي الحجرية الضخمة.. حتى رأيت يومًا جموع المشركين قد أقبلت في جيش كبير لمحاربة المسلمين.. والقضاء على الإسلام.. وهذا رسول الله ﷺ.. جاء يقود جيشه المبارك.. وحوله أصحابه.. وقد عسكروا قريبًا مني.

وبدأ رسول الله في تنظيم صفوف المسلمين.. وراح يحدث أصحابه عن الصبر والاستبسال؛ حتي يحققوا النصر لدين الله.. أو ينالوا الشهادة في سبيله.

وراح المشركون ينظمون جموع أعدادهم الكثيرة.. كانت الأصنام أمامهم يحملها بعض الخدم.. بينما يحمل باقي الخدم الماء من خلفهم.. وأنا أراقب الموقف بكل اهتمام .. حتى بدأ القتال.. ودار بعنف شديد.. واختلطت الصفوف والسيوف.. وتطايرت السهام في الهواء.. وارتفع الصراخ والصيحات.. وعلا تكبير المسلمين.. وظهر أمامي حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله.. الملقب بأسد الله.. وقد علق على صدره ريشته المميزة.. وفي يده سيفان يمسك بكل واحد منهما في يد.. ويضرب يمينًا وشمالًا في شجاعة نادرة.. فرَّقت جموع المشركين.. ففروا أمامه مذعورين كالفئران.

ووسط المعركة .. والقتال على أشُدِّه.. والخيل تصهل.. والناس تتساقط .. وتجري

هنا وهناك، إذا بي أرى عبدًا أسود مفتول العضلات.. يحمل حربة في يديه.. ينتقل من مكان إلى مكان.. يراقب المعركة دون قتال أظنه يبحث عن شيء.. فإنه لا يهتم بشيء مما حوله.. يتحرك مختبئًا في هدوء .. من شجرة إلى شجرة.. ومن هضبة إلى حجر.. يحاول الاقتراب من مكاني.

يقترب .. ويقترب في حذر.. وبينما حمزة أمامي منشغلًا بقتال المشركين.. يسابق الريح بفرسه.. إذا بهذا العبد يستغل فرصة اندماج حمزة في قتال اثنين من المشركين.. وفي تلك اللحظة التي لا أنساها.. كان العبد الأسود قد وصل لموضعي.. وكنت حجرًا ضخمًا مرتفعًا عن الأرض.. فاستتر خلفي.. وجلس القرفصاء في ظلي.. واستند بكفه إلى جانبي.. وراح يدور برأسه يمينًا وشمالًا.. ثم تحجرت عيناه فجأة وبرقتا.. وهز حربته في يده.. ودفعها في الهواء لتصل إلى حمزة

فسقط على الأرض كالجبل.. ودارت الدنيا من حولي.. وأنا أرى أسد الله .. وعم رسول الله يهوي على الأرض.. بينما العبد الأسود يفر مذعورًا نحو صفوف المشركين.. حتى وصل إلى هند بنت عتبة.. زعيمة النساء في جيش المشركين.. فألقى بنفسه تحت قدميها.. وراح يزف لها في سرور خبر مقتل حمزة.. وإذا بها تخلع كل ما عليها من مصاغ.. وتدفعه إلى عبدها «وحشي» مكافأة له.. لقد كانت مؤامرة دبرتها لقتل حمزة

ونفذها خادمها المطيع.

وبعد المعركة رأى رسول الله ما أصاب عمه وحبيبه.. وأشجع فرسان المسلمين.. فحزن حزنًا شديدًا مثلي.. كم أنا حزين على رسول الله يا أصدقائي .. إنه لا يزال يفقد أحبابه وأصحابه بل أقاربه واحدًا بعد آخر من أجل دينه.. وبينما رسول الله في حزن شديد على عمه.. إذا بجبريل وحي السماء.. ينزل بآيات من القرآن على رسول الله يأمره بالصبر:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (128) ﴾ [سورة النحل: 127، 128]

مضى رسول الله يحمل جثمان عمه حمزة ليصلي عليه مع شهداء أُحد.. وبقيتُ مكاني شاهدًا على هذا الحادث الأليم.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

جهاد وآلام

قرب جبل أُحد .. تراني.. حجرًا مرميًّا فوق الأرض لا يهتم به أحد.. ولا يؤنس وحدتي إلا بعض القوافل التجارية التي تمر بي كل فترة .. ولكني انتبهت اليوم على مشهد مرعب .. لقد رأيت عددًا كبيرًا من الناس.. يتجمعون قريبًا مني .. إنه جيش المشركين الذي أتى لمحاربة المسلمين.. وخلفهم نساؤهم .. يضربن بالدفوف لهم.. يحمسنهم على القتال.

وأقبل المسلمون في جموعهم يتقدمهم رسول الله.. وهم يسيرون في صفوف مرتبة.. وقد انتقى منهم رسول الله خمسين رجلًا.. لا يحملون سيوفًا .. بل سهامًا وأقواسًا.. إنهم من أمهر رماة جيش المسلمين كما علمت. وقد أمرهم رسول الله بالوقوف على أعلى جبل قريب مني.. وأكد عليهم مرة بعد مرة ألا يتركوا أماكنهم.. مهما كانت الأسباب.. فعليهم أن يحموا ظهر جيش المسلمين من الخلف.. فقد كان ظهر الجيش للجبل.

والتقى الجيشان .. ودارت المعركة في شراسة.. وعلت الصرخات.. واندفع أبطال المسلمين إلى قلب جيش المشركين.. يفرقون صفوفهم.. وتساقط المشركون كأوراق الشجر.. وأظهر أبطال المسلمين شجاعة نادرة.. وراح الرماة فوق الجبل يتصدون للمشركين .. الذين فكروا في مهاجمة ظهر جيش المسلمين من الخلف.

t.me/alanbyawardmsr

.. وهدأت هجمات المشركين حين علموا أنهم قتلوا رسول الله.

عند ذلك استطاع الرسول أن يشق الصفوف نحو جيش المسلمين المحاصر.. فلما رآه المسلمون فرحوا فرحًا شديدًا.. وعلموا مثلي أن خبر موته إشاعة كاذبة .. فاجتمعوا حوله ﷺ.

وبدأ رسول الله في الانسحاب المنظم بالجيش نحو جبلي .. وظل ﷺ يتحرك مع أصحابه حتى وصل إلى موضعي في الجبل .. فأراد رسول الله أن يصعد فوقي.. ولكن جسدي الحجري الأملس لم يساعده..

كم أنا حزين جدًّا لما أصاب رسول الله.. إنه الآن شيخ كبير .. قد علاه الشيب .. إنه لا يقدر على الصعود من الإعياء والألم.. وكثرة جراحه.. وهذا هو الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله .. يجلس تحتي.. ليصعد رسول الله على ظهره.. ورسول الله يحاول الصعود.. والألم في ملامح وجهه ﷺ .. ظل يحاول ويحاول، حتى صعد فوقي وهو يدعو لطلحة.

الآن تمكن المسلمون من ظهر جبلي.. وهذا علي بن أبي طالب .. يصب الماء على رسول الله .. ليغسل جراحاته.. ويزيل الدم عن وجهه ﷺ .. وجاء أحد الصحابة بماء عذب ليسقي رسول الله.. ثم صلى النبي الظهر جالسًا..فلم يستطع القيام.. وصلى الصحابة خلفه.

أما المشركون فخافوا أن يتبعوا جيش المسلمين؛ لأن بعض المسلمين رموهم بالسهام.. فقرر المشركون الانسحاب .. وقد قنعوا بما فعلوا.

وظللت مكاني فوق جبلي .. شاهدًا على هذه الأحداث المؤلمة.

* * *

t.me/alanbyawardmsr

غدر اليهود

فوق سطح هذه الدار أعيش.. إنها إحدى دور يهود بني النضير.. الذين يعيشون جنوب مدينة رسول الله ﷺ .. بينهم وبين المسلمين عهد أمان الآن.. فهم والمسلمون آمنون فيما بينهم.. فلا يعتدي أحد على أحد.. ولا يؤذي أحد أحدًا..

وها هو ذا رسول الله قد جاء لزيارة يهود بني النضير.. ومعه مجموعة من أصحابه الكرام.. فقابله اليهود مرحبين .. ولم يمض كثير من الوقت .. حتى ظهر اليهود كعادتهم خائنين .. لقد سمعتهم يا أصدقائي يتهامسون فيما بينهم قائلين: هذه فرصة لن تتكرر.. فمحمد الآن ضيف عندنا..وتحت يدنا .. ومن السهل أن نقضي عليه الآن.

فقال أحدهم: وكيف نقضي عليه دون أن يشعر؟! وإذا بصاحب داري عمرو ابن جحاش اليهودي يقول لهم: سأصعد أعلى داري؛ لألقي بالحجر الضخم الذي فوق السطح عليه.. فأقتله في مكانه.. وأريحكم منه.

وهكذا عزم اليهود على الغدر برسول الله .. ونظرت نحوه ﷺ في شفقة.. فقد كان ﷺ يجلس في أمان .. مستندًا بظهره إلى جدار منزلي .. ليته يعلم ما يدبر له .. أنا خائف جدًا يا أصدقائي على رسول الله.

فهذا عمرو بن جحاش اليهودي يصعد نحوي.. حتى وصل إليَّ .. فوقف يلتقط أنفاسه .. ثم راح يدحرجني .. حاولت الثبات في مكاني.. لكنه دفعني بكل قوة نحو

t.me/alanbyaamdasr

حافة السطح .. فلم أتمالك نفسي وسقطت.. ولم أجد رسول الله وأصحابه.

الحمد لله .. لقد ذهبوا وتركوا المكان.. لابد أن الوحي أخبر رسول الله بحقيقة المؤامرة .. فالرسول محفوظ من الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ .. وقد علم رسول الله بتآمر اليهود على قتله.

وما هي إلا أيام .. وسمعت اليهود يتحدثون من حولي: أنَّ محمدًا أرسل إلينا يأمرنا بمغادرة مدينته.. وألا نساكنه فيها .. وذلك جزاء خيانتنا وغدرنا.. ونقضنا عهد الأمان معه.. لقد علم رسول الله ﷺ يا أصدقائي سِرَّهُم .. وأمهلهم عشرة أيام فقط كي يرحلوا.

وأعلن اليهود عصيانهم لكلام الرسول .. وقرروا عدم ترك مدينتي .. ودخلوا حصونهم القوية أمامي.. وأغلقوا أبوابها.. وجمعوا ما يكفيهم من طعام وشراب؛ حتى لا يستطيع الرسول الوصول إليهم.. وانتهت المدة التي حددها لهم الرسول .. وإذا بالمسلمين يحاصروننا .. حتى نفد ما مع اليهود من طعام وشراب .. فأرسل أهل مدينتي من اليهود إلى رسول الله يطلبون إليه أن يخرجوا بأموالهم ومتاعهم في أمان.

وبالفعل يا أصدقائي .. سمح لهم رسول الله بالخروج وأن يأخذوا ما يريدون .. وراح اليهود يجمعون كل شيء .. ويحملونه فوق جمالهم وخيولهم وراحوا يُخَرِّبون بيوتهم بعدما جمعوا ما فيها .. فحملوا الأبواب والنوافذ وأخشاب الأسقف .. حتى أوتاد الإبل حملوها معهم.

وفجأة ارتفع دخان كثيف حولي .. حجب عني الرؤية .. إنهم يحرقون كل شيء؛ حتي لا ينتفع المسلمون بأي شيء .. وسمعت صياح نسائهم وأطفالهم وصهيل خيولهم .. وهم يبتعدون عن دياري شيئًا فشيئًا .. بينما ارتفع تكبير المسلمين وهم يدخلون مدينتي: «الله أكبر .. الله أكبر». وإذا بالقرآن ينزل على رسول الله ﷺ .. والرسول يردد على مسامع المسلمين: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2) ﴾.

* * *

المؤامرة

أنا أقرب شيء إلى رسول الله ﷺ .. فقد كنت معه أينما ذهب .. وقد أكرمني الله بقربي منه عدة أيام دون أن يراني أحد.. فكنت أسمع كل ما ينقل إليه من أخبار.. فبمجرد أن هدأ الحال في مدينة رسول الله .. وبدأ السلام يعود إلى الجزيرة العربية .. غضب اليهود.. ولم يعجبهم ذلك.. فقاموا كعادتهم.. يحاولون الغدر بالمسلمين وخيانتهم..

فقد غاظهم ظهور الإسلام.. واستقراره في المدينة.. فبدءوا يتآمرون على المسلمين في السر .. وقرروا أن يخرج عشرون رجلًا من زعمائهم وينطلقوا إلى القبائل.. والأُسَر الكبيرة في شبه الجزيرة العربية.. ليحرضوهم على قتال المسلمين.. وبمجرد أن وصل الخبر إلى قريش رحبت بهم.. واتفقت معهم على قتال المسلمين.. وتبعتهم كل القبائل العربية المشركة.. فكلهم يريد القضاء على الإسلام .. ويطمع في خير المدينة وثمارها..

وتجمعت كل قبيلة مع زعيمها.. وتقدموا يشجع بعضهم بعضًا على مواجهة المسلمين .. وبدأ المشركون يتحركون نحو مدينة رسول الله.. وجاءت تفاصيل مؤامرتهم إلى الرسول .. فخِفْتُ على المسلمين كثيرًا.. خاصة أن عدد المشركين كثيرٌ جدًّا.. يفوق عدد كل من في المدينة .. من الرجال والنساء والأطفال.. كيف لو وصل هذا الحشد الهائل من المشركين إلى مدينة رسول الله؟! وماذا سيفعل رسول

الله وأصحابه؟!

كثير من التساؤلات رحت أفكر فيها .. وجمع رسول الله أصحابه.. وراح يستشيرهم في وضع خطة للدفاع عن المدينة .. وجرت كل المناقشات .. حتى استقر الرأي على حفر خندق حول المدينة.. وقام الرسول سريعًا لتحديد موقع الخندق.. وقرر حفره في الجهة الشمالية من المدينة؛ فهي الجهة الوحيدة التي يمكن أن يهاجم المشركون المدينة من خلالها .. أما باقي الجهات ففيها جبال وهضاب منيعة.

والتف المسلمون حول رسول الله .. واستعدوا للدفاع عن دينهم ووطنهم.. وحدد لهم الرسول مقدار الحفر .. فبدءوا يعملون في جدٍ ونشاط .. كنت أسمع من مكاني ضرب معاولهم ولا أرى شيئًا .. ولكن ضرباتهم كانت قوية وسريعة .. أما رسول الله فقد ظننت أنه سيستريح بعد كل هذا العناء ..إنني أكثر شيء يعرف مدى تعبه رغم أني لا أرى شيئًا.

كان رسول الله يساعد أصحابه في الحفر.. وينقل التراب على كتفه الشريفة وهو شيخ كبير.. وراح الصحابة يطلبون إليه أن يستريح.. لكنه ﷺ كعادته رفض أن يتميز عليهم.

ومرت ثلاثة أيام .. ونفد الطعام القليل من المسلمين .. وهم يحفرون في حر الشمس دون توقُّف .. واشتد الجوع بهم إلى درجة لا يمكن أن أصورها لكم .. فقد سمعت من مكاني أحد أصحاب النبي يشكو إليه شدة الجوع .. فرفع النبي ﷺ ثوبه ليكشف عن موضعي أنا وصديقي الحجر الأصغر.. لقد كنا حجرَيْن .. مربوطَيْن على بطن رسول الله من شدة الجوع .. بينما رأيت حجرًا واحدًا مربوطًا على بطن الصحابي من الجوع .. ورأيت وجوه الصحابة شاحبة .. والتعب ظاهر عليهم، أظنكم عرفتموني الآن.. وعرفتم سر شعوري بتعب النبي ﷺ .. لقد رأيت بكاء الصحابة يا أصدقائي حين رأوني على بطن رسول الله... ترى ماذا حدث بعد ذلك؟

هذا ما ستعرفونه في القصة القادمة.

* * *

معجزة الطعام

في المدينة المنورة .. وفي بيت الصحابي الجليل جابر بن عبدالله .. تجدني حجرًا أسود بجوار ثلاثة أحجار أخرى.. نأخذ شكلًا مربعًا .. حتى يوضع فوقنا إناء الطعام .. ثم يتم إشعال النار تحته؛ لأقوم مع رفاقي بحجز النار تحت الإناء حتى ينضج الطعام.

ولكنني الآن ومنذ فترة .. لم توقد أمامي نار .. ولم يوضع فوقي إناء؛ فالجو في المدينة هنا شديد البرودة .. والثمار نادرة .. والمسلمون يعانون الجوع .. وأهل بيتي مثل أهل مدينتي لا يوجد عندهم طعام.

فقد دخل الصحابي الجليل جابر إلى داره الآن .. وإذا بزوجته تقول له: لقد أتيت على غير العادة يا جابر .. فلماذا تركت رسول الله وأصحابه في حفر الخندق؟ قال جابر: أعلم أنه لا يمكن أن نتوقف عن العمل .. ولكنني استأذنت رسول الله في الحضور .. فنحن كما تعلمين .. نحفر في الخندق منذ ثلاثة أيام .. ولم نأكل طعامًا إلا بعض التمرات.

ردت الزوجة: أهذا سبب حزنك؟ فقال جابر: لقد رأيت أصحاب رسول الله .. وقد ربط كل منهم على بطنه حجرًا من شدة الجوع.. ورأيت رسول الله وقد ربط على بطنه حجرين.. فأنا حزين لما أصاب رسول الله وإخواني المسلمين لذا جئت أسألك: هل عندك طعام؟ ردت الزوجة في حزن: ما عندي إلا صاع من شعير.. لا يكفي أطفالنا ..

وليته يصلح لنطعم به الرسول وأصحابه .. وإذا بوجه جابر ينفرج عن ابتسامة مفاجئة قائلًا: بل عندنا ما يصلح.

الزوجة: تقصد الشاة الضعيفة التي عندنا.. الآن فهمت.. اذهب إلى رسول الله .. وأخبره سرًّا بأمر الشاة .. حتى يأتي مع ثلاثة من أصحابه.. فتكفيهم الشاة فإنها لا تكفي لأكثر من ذلك.

خرج جابر مسرعًا أمامي.. ورحت أنتظر عودته في قلق .. ماذا سيفعل؟

وبالفعل .. عاد جابر ليخبر زوجته أن رسول الله قد جمع المهاجرين والأنصار.. وكل المسلمين العاملين في حفر الخندق .. وصاح فيهم قائلًا: «إن جابرًا قد صنع لكم طعامًا» .. قالت الزوجة في دهشة وقد تغير لونها: هل أخبرت النبي بمقدار ما عندنا من طعام؟ قال جابر: نعم.. فأجابته الزوجة في ارتياح وثبات: الله ورسوله أعلم.

وبدأت الزوجة في إعداد الطعام .. ووضعت الإناء فوقي .. وحضر رسول الله مع أصحابه .. وأمر الرسول صاحبي جابرًا أن يقف على باب داره .. ويُدخل مجموعة بعد أخرى .. وإذا بي أسمع صوت رسول الله .. ينادي في المسلمين .. ويأمرهم أن يدخلوا .. وألا يتزاحموا .. فرأيتهم يدخلون في هدوء عجيب .. وامتلأت الدار من حولي.

وهذا هو رسول الله أمامي .. قد أصبح شيخًا كبيرًا .. ورغم ذلك هو يُكسِّر الخبز.. ويضع فوقه اللحم .. وهو يسمي الله .. ويدعو بالبركة في الطعام .. ثم يغرف من الطعام بيده الشريفة .. ويقدمه لأصحابه بنفسه ﷺ .. حتى رأيت هذا الطعام القليل قد باركه الله.. وكفَّى كل المسلمين ورفض أن يأكل ﷺ إلا بعد أن شبع أصحابه.. ويقي الإناء مليئًا باللحم كما هو .. وبقي كثيرٌ من العجين حتى قال ﷺ لأهل بيتي: «كلوا.. وأهدوا الباقي .. فإن الناس قد أصابتهم مجاعة».

* * *

بشارة الرسول

بعيدًا عن الناس .. وفي مكان لا تطلع عليه الشمس .. ولا يراه أحد .. أعيش .. هنا في باطن الأرض .. أحيا في هدوء حتى انتبهت ذات يوم على صوت كثير من المعاول .. تضرب الأرض من فوقي .. بدا لي الصوت بعيدًا ومكتومًا .. لكنه كان يقترب مني شيئًا فشيئًا .. حتى بدأت أسمع أصوات من يحفرون فوقي .. إنهم أصحاب رسول الله .. يحفرون خندقًا أمام مدينته ﷺ . ظلوا يحفرون ويحفرون .. حتى بلغ الحفر صدورهم .. كانوا كلما حفروا ظهرت أمامهم شيئًا فشيئًا .. وكنت حجرًا أبيض مدورًا صلبًا .. لا تؤثر فيَّ المعاول .. حاول الصحابة كَسْرِى .. فلم يستطيعوا .. فصاح أحدهم قائلًا: هيا بنا نستشير رسول الله في أمر ذلك الحجر . وهل سنغير مسار حفر الخندق أم لا؟

وما هي إلا لحظات حتى أقبل رسول الله .. فكدت أطير من الفرح حين رأيته .. وإذا به ﷺ يضع عباءته جانبًا .. ثم يهبط نحوي طالبًا وعاءً من ماء .. ثم رش الماء فوقي بيده الشريفة .. وتناول المعول قائلًا: «بسم الله» .. وضربني ضربة قوية كسرت ثلثي

.. حتى تطاير شرري .. وبرق مني ضوء شديد أضاء جنبات المدينة .. وأخرجت صوتًا شديدًا .. كأن شيئًا عظيمًا يُهدَم.

فقال ﷺ: « الله أكبر .. أُعطيتُ مفاتيح الشام» .. ثم سمى الله .. وضربني ضربة ثانية .. فكُسر ثلثي الثاني .. وتطاير الشرر مني .. وبرق مني مرة أخرى ضوء شديد .. أضاء جنبات المدينة .. وأخرجت صوتًا شديدًا .. كأن شيئًا ضخمًا يسقط .. فقال ﷺ: «الله أكبر .. أُعطيتُ مفاتيح فارس».. ثم سمى الله وضربني الثالثة .. فصرت رملًا .. وخرج مني نفس الضوء .. ونفس الصوت فقال ﷺ: «الله أكبر .. أُعطيتُ مفاتيح اليمن» .. وبذلك علم الصحابة مثلي أن الإسلام سينتشر كانتشار هذا الضوء الذي خرج مني وأضاء المدينة .. فهلل المسلمون فرحين ببشارة رسول الله لهم.

بدأ الصحابة في حملي خارج الخندق .. وقد صرت تلًا من رمال .. وقفت خارج الخندق .. أشاهد مدينته ﷺ لأول مرة بنخيلها وبساتينها وجبالها .. وأشاهد الصحابة وهم يواصلون العمل طوال اليوم بكل نشاط وهمة، حتى اكتمل الحفر.

وما هي إلا أيام حتى رأيت جموع المشركين الهائلة .. تزحف بجيوشها نحو مدينة رسول الله؛ لينهبوا ثرواتها .. ويقضوا على الإسلام والمسلمين فيها .. وإذا بالخندق أمامهم .. فأذهلتهم المفاجأة .. وراحوا يدورون أمامي حول الخندق في غضب .. يبحثون عن أي موضع يدخلون منه المدينة .. فلم يستطيعوا .. وتراجعوا أمام سهام المسلمين التي أصابتهم .. ولم يجد المشركون إلا أن يعسكروا أمام الخندق في هذا الشتاء القارس.. وأشعلوا نارًا ليستدفئوا بها.

ومر الوقت .. ودب اليأس في نفوسهم .. وأقبل الليل .. وإذا بريح شديدة تهب على معسكر المشركين .. فطرت معها فرحًا.. ورحت أقذف بكل ذرة من رمالي في عيونهم وطعامهم .. واشتدت الريح أكثر فتطايرت النار في معسكرهم .. وطارت خيامهم .. وفرَّتْ خيولهم وجمالهم .. ودب الرعب في قلوبهم ففروا مذعورين: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

ومرت الأيام .. وانتشر الإسلام في جزيرة العرب .. وفتح الله على يد المسلمين ما بشرهم به رسول الله من مدن .. وكلما سمعت خبر نصر للمسلمين .. طرت متراقصًا في الهواء فرحًا .. ثم هبطت على أرض المدينة المباركة .. بعد أن صرتُ ترابًا في طرقاتها .. لا يعرفني أحد.

* * *

أهم المراجع

* القرآن الكريم.

* الحديث الشريف:

- صحيح البخاري: (محمد بن إسماعيل البخاري).

- شرح صحيح مسلم: (أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي).

- المسند: (مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني) تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

- جامع الترمذي: (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي).

- الترغيب والترهيب: للمنذري (أبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري).

* التفسير:

- تفسير الطبري: (جامع البيان في تفصيل آي القرآن) للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر.

- تفسير ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم) للإمام الحافظ: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.

* السيرة:

- السيرة النبوية: (أبو محمد عبد الملك بن هشام).

- كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، المعروف بـ (الخصائص الكبرى للسيوطي) للعلامة: جلال الدين السيوطي.

- الرحيق المختوم: (لفضيلة الشيخ: صفي الرحمن المباركفوري).

- فقه السيرة: (لفضيلة الشيخ: محمد الغزالي).

- هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ: (لفضيلة الشيخ: أبو بكر جابر الجزائري).

* المغازي والسير:

- المغازي: للواقدي (لمحمد بن عمر بن واقد) تحقيق الدكتور: مارسدن جونس.

- المغازي: (لموسى بن عقبة).

- غزوات الرسول ﷺ: (فضيلة الشيخ: محمد متولي الشعراوي).

* التاريخ:

- البداية والنهاية: (للإمام الحافظ: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي) تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي (رئيس رابطة العالم الإسلامي).